

A.U.B. LIBRARY

AMERICAN
UNIVERSITY OF
BEIRUT



9

ای آخی البیر ادیب

962.052

M 397a A

C.1

عشرة ايام في القاهرة

قابلت
حلاة الملك فاروق الاول
وشهدت ولادة
جامعة الدول العربية

بفلم

عبد الله الحينوف

79120

منشورات

دار الكشاف - بيروت

Cat. Juss. 52

57





حضرة صاحب الجلالة فاروق الاول المعظم

اهداء الكتاب



إلى صاحب الجلالة

فاروق الاول المعظم

ارفع بولاً واحترام هذه الذكريات

ذكريات المقابلة السعيدة

وذكريات ولادة دنيا جديدة: دنيا العرب !

مقدمة



هذه صفحات كتبت بعضها في زيارتي الأولى لمصر عام ١٩٣٧
يوم تشرفت بمقابلة جلالة الفاروق المعظم ، وبعضها في الايام العشرة
التي قضيتها في وادي النيل عام ١٩٤٥ وشهدت فيها ولادة جامعة
الدول العربية ، أحببت أن أجمعها في هذا الكتاب ، لا لأنها
تستحق النشر ، ولكن لأنها رمز لذكرين حبيبين الى قلبي : مقابلة
الفاروق واجتماع شمل العرب على ضفاف النيل ...

المؤلف

محطة في السماء الاولى

« لك يا صديقي ان تطلق عليّ ما شئت من النعوت ، فلن
ابدل رأيي ، ولن يمنعني هذا من مصارحتك باني اخاف ركوب
الطائرة . لك ان تمنعني بالوهم او الخوف أو الجبن ، فاني قانع بان
ادب ديب النمل على ظهر كوكبنا الجميل ، وهنيئاً لك يا صاحبي
عالم الحقيقة والجراة ، هنيئاً لك عالم الاجواء الفسيحة تراحم
فيه ذوات الجناح ؛ تفطر في بيروت وتتغدى في القاهرة وتتعشى
في الجزائر وتنام في باريس وقد لا تنام ، وقد تظفر بالراحة
الكبرى ... أما أنا فاني لا اود استعجال لقاء وجهه ربي
الكريم ... ! »

بهذه الكلمات ودعت رفيقي في مطار « المزة » بدمشق بعد ان
اوصيته خيراً بزوجتي وصغاري ... وبهذه الروح وبهذا التطير ،
مرت نحو الطائرة المصرية ذات المحركات الاربعة ، وكنا ستة ،
نسير بخطى مثقلة وثبيدة ، وعلى وجوهنا امارات الاستسلام لمشينة

الله كالمحكومين بالاعدام ، فيتسلمنا الجـلاد على باب الطائرة ويزج
كلأ منا بدوره في مقعده بعد ان يناوله شيئاً من القطن يحشوبه
اذنيه !

يا لله نحن اذن على آتم الالهة والاستعداد للقاء المولى تعالى فقد
وضعوا في آذاننا ما يوضع في آذان الموتى في تجهيزهم من القطن !..
وتحركت بنا الطائرة وسارت سيراً وثيلاً ثم ارتفعت ثم
حلقت وجعلت تهبط تارة وتعلو أخرى ، فلم اشعر بما يشعـر به
المسافرون من دوار ، فقد الفت سفر البحر ، ولكنني كنت في
مقعدي فريسة لحيلالات مزعجة عجيبة كلما طردتها عادت وهي اشد
ما تكون الحاحاً ووضوحاً ...

قلت : أتسلى بالنظر الى الدنيا من عل ، وانا الذي كنت
يسعدني الاستمتاع بالنظر الى الامور من بعيد فلا اضيع في
تفاصيلها التافهة ، وكان يلذ لي الاستماع الى الجوقة الموسيقية من
بعيد ايضاً فلا تختلط علي انغام العازفين والحانهم . لقد وددت في
تلك اللحظة ، ان أعود جزءاً حقيراً تافهاً في لوحة الارض ، او
عازفاً بسيطاً يشترك مع اخوانه العازفين في معزوفة الفناء يوقعها
ابناء الارض من الازل والى الابد ! ..

ويميناً صادقة ، ما ادركت معنى الآية الكريمة « وعباد الرحمن
الذين يمشون على الارض هوناً » الا في الطائرة ، ولم اعمل بها الا في

عالم الهواء ؛ فكنت لا اضع قدمي على ارض الطائرة الا عند
الضرورة القصوى ، وكنت اضعهما في هون لا هون بعده ، ورفق
لا رفق بعده بينما كان احد الرفاق يتنقل مزهواً مختالاً من مقعد
الى آخر فكأنه كان يسير بنعليه الثقيلتين على نياط قلبي خشية
ان تلين ارض الطائرة تحت قدميه .

وفجأة انطلق لساني بالشعر ، فاذا بي اخاطب الطيار - وهو
لا يسمع كلامي لشدة ازيز المحركات - متمثلاً ببيت بشر بن
عوانة :

انل قدمي ظهر الارض اني رأيت الارض اثبت منك ظهراً !
فيشير الطيار برأسه دلالة على فهمه لما اقول ، لقد فهم اني من
عشاق السرعة والارقام القياسية ، وها هو يفتح اجهزة الطائرة
على اقصى مداها من السرعة فتنتطلق كالسهم تشق كبدا الفضاء ثم
يلتفت نحو التفاتة المفضل الكريم ، اما انا فسقطت خائراً على
مقعدي لا الوي على شيء !

وتر الحواطر المزعجة في مخيلتي متعاقبة فاستعرضها بسرعة
وكراهية ، هذا فتحي وهذا صادق اولا نسرين عثمانين ، لقد لقيا
حتفهما في الرحلة الاولى ، وهذا ضريحهما في دمشق ! وهذه احدي
طائرات المستر تشرشل ؛ الم تتعطم في طريقها الى يالطة ؟ وهذا
جيش من الطيارين وكلهم في ريعان الشباب ، وليس بينهم من

وخط المشيب رأسه ، كلهم يموتون في ربيع الحياة ، ما اقصر
اعمارهم !... واقرأ نبأ سقوط طائرتنا في صفحة الاخبار المحلية
وأرى اسمي بين الضحايا بحروف سوداء توقص في الصحيفة وتقهر
ساخرة متمثلة ببيتي المعري :

أفلقتم السابح في لجه ورعتم في الجوذات الجناح
هذا وانتم عرضة للفنا فكيف لو خلدتم يا وقاح ؟

وآلمني أشد الألم اني كنت في الطائرة عنصراً مهماً لا شأن له
في تسيير دفعة السفينة . لقد تعودت ان أشارك سائق السيارة في
كل حركة من حركاته فاضغط بقدمي وقت الخطر كأنني اكبس
معه على الفرامل ، اما في هذه الطائرة فقد كنت عضواً أشل ، لا
حول ولا طول ولا قوة لي في درء الخطر ساعة نزوله ، تحت رحمة
الرياح والطيّار ، كنت اشبه شيء بذلك المقعد الجامد الذي اجلس
عليه أو كطرد من البضاعة استلمه الطيار في دمشق ليسلمه في
القاهرة أو ليقذف به في اجواء هذه الدنيا العربية التي جئنا نحتمل
بميلادها ، فتتناثر اشلائي في فضاءها ولا تكنحل عيني بروية أحلام
صباي الذهبية حقيقة واقعة !...

آلمني الاشتراك في تبعة قيادة الطائرة - وانا الذي ما تعودت
الفرار من التبعات - وحز في نفسي انني اصبحت مسيراً في سفينة

اجل اسرارها ، ولا سلطة لي في تدبير شؤونها !
ولكن اليست الحياة الدنيا طائفة كبيرة لا شأن لنا في
تسييرها ، يديرها الربان الاعظم ، وعلى الرغم من ذلك فنحن
نتهافت على حطامها كالفراش ونقبل خيرها وشرها ، نعيمها
وجحيمها ، ونعبد الباري عز وجل !

سري عني قليلاً عندما تسرب الى قلبي اطمئنان المتوكلين
المستسلمين لقضاء الله ، وزال الخوف والقلق ، واذا بالمحركات
الاربعة تتوقف فجأة ، وتقف بنا الطائفة في اعالي الجو ! ..

ما هذا ؟ محطة في السماء ؟ لقد بلغنا اذن السماء الاولى !
ولكن كيف ننزل ؟ وهنا شعرت بتوبيخ شديد لهذه الدعابة
الخطرة مع الخالق جل شأنه وخشيت نقمته فرحت اردد بعض
الادعية القديمة واستغفر الله . واذا بالطيار يلتفت نحوي مبتسماً
ويشير الى الارض :

- لقد وصلنا ! -

وهبطت الطائفة ونزلنا ارض الكنانة واذا برفيقي يردد قوله
تعالى : « اهبطوا مصر فان لكم ما سألتم ! » وكأني لم اسمع
هذه الآية من قبل ! اجل لقد هبطنا مصر ولقينا فيها ما نؤعد :
لقينا ملكاً عزيزاً يضحك فتضحك له الدنيا ، وشعباً كريماً يؤسس
الحياة قوية يانعة على ضفاف النيل ، وفي هذا الوادي الجميل المبارك

تحققت احلامنا الذعبية وولدت دنيا العرب الجميلة ! . .

ومشيت على الارض هونا ومشيت مختالا ، وشعرت بلذة لا
عهد لي بها من قبل ، لذة السير على الارض ! ...

باقة من زهر الصحراء ..

استغرقت الرحلة الجوية من دمشق إلى القاهرة نحو ثلاث ساعات وكلفتني زهاء ١٣٠ ليرة سورية بينما تكلف الرحلة بالسيارة إلى حيفا ومنها إلى القاهرة بالقطار وفي الدرجة الأولى ٧٠ ليرة . وقد اتبع لطارئتنا التوقف في مطار « الد » الفلسطيني نحو ربع ساعة استراحت فيها آذاننا من أزيز المحركات وتناولنا خلالها وجبة خفيفة تتألف من فنجان من الشاي والحليب وعدد معين محدود من « الساندويش » . كل شيء في فلسطين خاضع لسياسة التقنين ، ولعلك تستطيع بالجدل والمنطق اقناع الخادم في مطعم المطار بالعدول عن « وعد بلفور » ، فذلك أيسر من أن تظفر منه بملعقة قانية من السكر الأسمر يضيفها إلى فنجان الشاي ، وعبثاً عرضنا عليه الاستغناء عن بعض قطع الحلوى لقاء ملعقة ثانية من السكر فكان جوابه الرفض ، فالشاي في فلسطين لا يعتبر قانونياً إلا بملعقة واحدة ! .

وفي مطار « الماظه » فتش الموظفون حقائب المسافرين ، وجاء دور حقيبتي الهزيلة فعثروا فيها على نسخة واحدة من كتابي « التعاون الثقافي بين الأفطار العربية » فحجزها الموظف المسؤول ليحيلها إلى الرقيب قبل السماح لها باجتياز الحدود . شقّ عليّ أن افارق النسخة الوحيدة من كتابي ، وآلمني ألا أستطيع اهداءها فور وصولي إلى المجاهد العربي عبد الرحمن عزام بك ، ولكنني كنت مسروراً في قرارة نفسي ، فقد ظفرت بقارئ مصري يقرأ كتابي ولو على الرغم منه وبدافع الوظيفة

غادرنا « الماظه » في سيارة شركة الطيران فاجتازت بنا مدينة الشمس (هليوبولس أو مصر الجديدة) بأبنيتها الفخمة المبنية على الطراز العربي الأندلسي ، وقطعنا شارع الملكة نظلي الطويل الذي يصل القاهرة بمصر الجديدة فلفت نظري هذا السيل الدافق من السيارات في مختلف الميادين العامة ، وهذا النظام البديع في تسهيل المرور ، وهذا الزحام الهائل في الشوارع تعجج بالخلق ، ويقدر العارفون سكان القاهرة اليوم بنحو مليونين ، كما أنني لاحظت أن النظافة في عاصمة الشرق لم تعد كالسابق عندما زرتها عام ١٩٣٧ ، وأن أعوام الحرب الستة ومارافقها من تداوير صارمة قد تركت أثرها ، وشعرت لأول وهلة أن شيخوخة سابقة لأوانها قد نزت

بمدينة المعز والقاهر وانها تحتاج الى تجديد شبابها عندما تضع الحرب أوزارها .

ووقفت بنا السيارة امام فندق الكونتنتال ودخلت ردهته الكبرى فاذا هي حافلة باللبنانيين والسوريين وعقيلاتهم ، من الذين يشتغلون بالسياسة وغير السياسة ... حلقات منتثرة هنا وهناك . لا تكاد تحمي طائفة منهم حتى تباغتك طائفة اخرى فتلقى رجوهاً كنت قد أضعفها مدة في بيروت فاذا بك تلقاها في القاهرة ، وتسمع لهجات ليست مصرية خالصة ولا لبنانية اوسورية خالصة بل هي بين بين ، يا لله ما الذي جذبها الى عاصمة الشرق ، هل هو الشتاء الدافئ ، والشمس السرمدية الاشرار ، أم هو رخص المعيشة ، أم هذه الأفلام المصرية العربية الجديدة يتهافتون على شرائها ، أم ترى هي جامعة الدول العربية تحمسوا لها فهاجروا من أجلها وأنوا يشهدون الاحتفال بتوقيع ميثاقها !.

لست أدري لماذا أوحى اليّ هذا الجو العابق برائحة لبنان ، الجو الذي ألفته في « مقهى العجمي » في بيروت دون سواه من أندية لبنان ، ولعل الحلقة الكبرى التي يتزعمها الصديق المجاهد صلاح الدين بيهم هي التي ذكرتني بجلساته الشهيرة في « مقهى العجمي » مع اخوانه الثانية يوقعون بوقيات الاحتجاج على سياسة

الانتداب وتجمع بينهم السياسة السلبية ، ثم تفرقهم السياسة
الاجابية ايدي سباً ...

وكان أول عمل قمت به بعد مصافحة الاخوان ان توجهت
ابحث في ادارة الفندق عن غرفة آوي اليها فكان الجواب رفضاً
المطعماً فالغرف جميعها محجوزة ! وأوحى إليّ بعض الاصدقاء
اللبنانيين ان أدرس في يد موظف معين ورقة مالية تنفتح امامي
أبواب الحجرات على مصاريعها فقلت له : وهنا ايضاً !.. وكدت
اتناسى مثلي العليا وهممت ان افسد ضمائر موظفي الفندق (!)
لولا ان انقذني من هذه الحماة صديقي وصديق اللبنانيين ، المقيم على
الوفاء أحمد رمزي بك ، فهو الذي قدمني الى مدير النزل فحصلت
حالا على غرفة ممتازة كبيرة فيها ثلاثة سرر نمت فيها وحدي « ! »
ولم أدفع اكثر من ٥٠ قرشاً مصرياً في الليلة الواحدة !..

وصلت القاهرة مساء الخميس في ٢٢ اذار (مارس) وكان من المقرر
قن يصل الوفد اللبناني بالقطار في التاسعة والرابع من صباح الجمعة ،
فدهشت عندما وجدت اكثر اللبنانيين في الفندق يجهلون هذا النبأ
وسرني اني حملت الى بعضهم هذه البشري السارة .

وفي الميعاد المعين من صباح الجمعة أطل القطار يحمل دولة
الرئيس كرامي وحاشيته وكانت الاستقبال قاصراً على رجال

المفوضية اللبنانية وبعض الطلبة والاصدقاء ويمثل عن وزارة
الخارجية المصرية وباقه من ازهار الصحراء الزرقاء ! ...
ونزل دولة الزعيم وسط عاصفة (متواضعة) من التصفيق
ونخطى اكياس البصل واقفاص الدجاج المكسدة امام الحافلة في
طريقه الى مؤتمر الجامعة العربية ! ...

هذا الاستقبال لا يحجوه من مخيلتي الا مشهد الوداع المؤثر بعد
عشرة ايام فقط قضاها الزعيم كرامي في مصر .
جموع زاخرة من كرام المصريين والسوريين واللبنانيين وعلى
رأسهم مندوب جلالة الملك ورئيس الحكومة وجميع الوزراء
ورئيسا الشيوخ والنواب وزعماء مصر وقادتها واعيانها يشيعون
وفد لبنان في قطار جلالة الملك فاروق الخاص !
عشرة ايام تبدل فيها الجو غير الجو ، والسماء غير السماء ...

حكاية الطربوش الملكي



توجه دولة الرئيس كرامي ورجال الوفد عقب نزولهم من
القطار رأساً الى سراى عابدين حيث سجلوا اسماءهم في سجل
التشريفات الملكية ثم عادوا الى المفوضية اللبنانية في الجيزة وكان
يرافقهم وزير لبنان المفوض الاستاذ يوسف سالم .

تقع المفوضية اللبنانية في اجمل ضواحي القاهرة ، على ضفاف
النيل ، تحيط بها الحدائق الغناء وهي كناية عن « فيلا » عصرية
غاية في الفخامة والاناقة تتألف من طابقين فسيحين الاول
للاستقبال والطعام والثاني للمنامة . والى جانبها جناح خاص
لمكاتب المفوضية بناه صاحب الدار خصيصاً لهذه الغاية . وهي تخص
المواطن اللبناني السيد نجيب صالحه الذي اجرها للحكومة اللبنانية
بأثاثها ورياشها بمائتين وثلاثين جنيناً مصرياً في الشهر الواحد ووضع
سيارته الحصرية تحت تصرف وزيرنا المفوض .

وسرني ان ارى علمنا المقدى يخفق فوق سارية المفوضية

وفوق سيارة الوزير وابتهجت لرؤية صورة فخامة الرئيس
الاول تزين صدر البهو الكبير وتمت لفخامته مع الاخوات
الشفاء القريب . *

واخذت الوفود من المصريين والجليتين اللبنانيين والسورية
تزور المفوضية مرحبة بدولة الرئيس وصحبه اعضاء الوفد وكانت
يستقبلهم الوزير المفوض الاستاذ سالم ورجال المفوضية باللائف
والايناس ويقدمونهم الى دولة الزعيم كرامي الذي كان يتنقل
بينهم من حلقة الى حلقة ويتحدث اليهم احاديث الوطن ويطمئنهم
عن صحة فخامة اللبناني في الاول ، واذا بسيارة تقف وينزل منها
مندوب جلالة الملك الفريق عمر فتحي باشا يحمل الهدية الملكية
« الطربوش التاريخي » .

لبس الزعيم كرامي الطربوش شاكراً وقال :
« كل ما يأتي من جلالة الفاروق يوضع فوق الرأس »
وسأله صحفي عن أثر الطربوش الملكي في رأسه فأجاب : « ان
هبة الفاروق تنعكس على رأسي فتكسبني هبة ووقاراً ! »
وتجاسر خبيث وقال :

« ان جلالة الفاروق شاء ان يذكر دولة الزعيم بحادث اعتقاله
تحت حراب العبيد ، حاسر الرأس ، بملابس النوم .. وكيف ان

* كان فخامة الرئيس يستشفى في فلسطين .

الزعيم آلى على نفسه الا يرتدي لباساً للرأس قبل ان يتم للبنات استقلاله . فكان هذا الطربوش الملكي دلالة على ان لبنان بانضمامه الى ميثاق الجامعة العربية قد ضمن استقلاله ضماناً لا يعدله ضمان . ولكن بالله عليكم ، أخبروني كيف عرف جلالة الفاروق قياس رأس الزعيم كرامي فجاء الطربوش كالقالب حفراً وتنزيلاً ؟ . فأجابه دولة الرئيس فوراً :

« ان جلالة الفاروق ايده الله ، خبير بقياس الرؤوس ووزنها ايضاً ... »

وروى بعض الحضور حكاية طربوش دولة فارس الحوري في مصر ، فالمشهور عن الرئيس السوري ان رأسه يضع رقماً قياسياً في الشام من حيث الاتساع (المليء علماً وحكمة ونبوغاً ونكتة ايضاً) . وقد طاف دولته بجواتيت بائعي الطرابيش ، فاهتدى اخيراً الى طربوش يناسب رأسه ، ولكنه اختلف مع البائع على السعر ، فقال صاحب الحانوت للرئيس فارس الحوري :

- لن تجديا بك طربوشاً بهذا القياس في مصر كلها !..

فأجابه الرئيس الحوري بظرفه المشهور :

- ولن تجدي رأساً بهذا القياس في مصر كلها ...

وكانت النكتة سبباً في الاتفاق على السعر ...

ودخل دولة الرئيس يستريح من رحلة متعبة قضاها في القطار
وعندما نتحدث مع الاخوان حديث الهدية الملكية الطريفة ، فهذا
أول طربوش يهديه جلالة الفاروق ، ودولة الزعيم كرامي أول
عربي اهدي طربوشاً ملكياً . رتقى أحد الظرفاء أن يحتفظ دولة
الرئيس كرامي بالطربوش فلا يستعمله بل يبقيه أثراً تاريخياً ويظل
ذكرى طريفة للدعابة الملكية السامية .

كتمت سرّاً خطيراً !...

غداً السبت في ١٧ آذار (مارس) موعد اجتماع الوفود العربية في قصر الزعفران لالقاء نظرة نهائية على الميثاق قبل إرساله إلى الطابع فلنترك دولة الرئيس كرامي يستقبل وفود المهنيين في المفوضية اللبنانية ويرد بعض الزيارات الرسمية ، ويحتلي برجال الوفد اللبناني الرسمي ويتناقش معهم في مواد الميثاق ولا سيما الناحية القانونية الدولية منه فقد استحضر الاستاذ صبحي بك المحمصاني عضو الوفد صندوقين ضخمين من الكتب الشرعية والمستندات . وكان له بعض الغزاء في أنه احتاج إلى مراجعة كتاب واحد منها فلم يحمل هذه المجموعة الهائلة من الكتب عبثاً ... أما أنا فذهبت اجتمع إلى من أعرفه من اللبنانيين المتصرين واستمع إلى آرائهم في ميثاق الجامعة العربية ، ولا اذيع سرّاً إذا قلت إن المفاوضات لم تكن سرية - كما كان من المفروض أن تكون - فقد كانت بعض الأصدقاء يطلعني على تفاصيلها الدقيقة كأنه كان يحضر جلسات الزعفران

بانتظام ! ...

سمعت الشئ الكثير عن سير المفاوضات ودونت في مذكراتي معلومات هامة خطيرة احتفظ بها للتاريخ ولا أرى من الحكمة نشرها الآن ، على اني علمت ان موقف لبنان كان موضع الجدل في مختلف الاوساط المصرية واللبنانية والسورية ، وفريق يرى في المولود الجديد تراجعاً عن بروتوكول الاسكندرية وهو يستقبل هذا التراجع بسرور . وهذا يمثل وجهة نظر الانعزاليين . وفريق آخر يرى في الميثاق الكمال وهذا يمثل وجهة نظر المعتدلين ، وفريق ثالث ينقم عليه لانه لم يجد فيه تحقيق احلامه العربية البعيدة وهذا هو رأي المتحمسين للعروبة الشاملة باوسع معانيها .

واذا كانت الحكمة تقضي بكتمان ما تسرب الي من انباء المفاوضات السياسية ، فليس ثمة ما يمنعني من التحدث عن أعمال اللجنة الثقافية .

لقد عقدت هذه اللجنة اجتماعات عديدة واتفقت بالنتيجة على ما يأتي :

- ١ - توقيع معاهدة ثقافية بين الاقطار العربية لا تختلف كثيراً في نصها عن روح المعاهدة المعقودة بين مصر والعراق .
- ٢ - انشاء مجلس ثقافي تابع لمجلس الجامعة العربية .
- ٣ - احداث مكتب ثقافي دائم ينفذ مقررات المجلس الثقافي

ولعل اغرب حادث جرى في اجتماعات لجنة الثقافة الحادث
التالي اروييه وانا واثق من صحته فقد سمعته من مصادر مختلفة وهي
لا تختلف في روايته :

لقد طلب ممثل العراق في اللجنة الثقافية الدكتور متى العقراوي
السماح لحاملي الشهادات العليا من ارباب المهن الحرة (كالاطباء
والمهندسين والمحامين والاساتذة) بمزاولة اعمالهم في جميع الاقطار
العربية دون قيد ولا شرط فيتاح للمحامي اللبناني الإقامة في مصر
والمرافعة فيها والمهندس المصري العمل في الحجاز مثلاً وللطبيب
السوري العمل في العراق الخ .. أتدري من الذي وقف في وجه
هذا المشروع الجليل ؟ هو لبنان ! المتخف بمحملة الشهادات ، لبنان
الذي ما يزال يصدر الاطباء والمهندسين والمحامين والمعلمين الى
الاقطار العربية ، هو الذي يعارض في تحقيق هذه الفكرة على
لسان احد مندوبيه في اللجنة الثقافية ! ..

وجاء يوم السبت واجتمعت اللجنة التحضيرية في الساعة الخامسة
بعد الظهر في قصر الزعفران ووقف دولة الرئيس كرامي والقى
كلمته التاريخية التي لم يصفق المؤتمرون لسواها من الكلمات التي
القيت ، وقال لهم بصراحته المعروفة :

- ان لبنان منكم ولكم ، وان لبنان لم يقف يوماً وان
يقف ابدأ حجر عثرة في سبيل تحقيق اماني العرب فلا تنسبوا

التراجع إلى لبنان وها أنا بألم لبنان أعدم بتوقيع كل ميثاق
تتفقون عليه دون قيد ولا شرط ...

وعادت الوفود بعد هذه الجلسة الى فندق الكونتيننتال فسمعت
دولة فارس بك الحوري يتحدث في حلقة من رجال الصحافة
السورية قائلاً :

« لقد كان موقف الرئيس كرامي عظيماً في الجلسة ، فقد وضع
النقاط على الحروف ، وكان آية في الصراحة والاتزان ، لقد كسب
المعركة منذ الجولة الاولى ! »

وعقدت اللجنة التحضيرية اجتماعها الاخير يوم الثلاثاء في ٢٠
اذار فانجزت مهمتها وانقلبت إلى مؤتمر الجامعة العربية وتقرر أن
يحتفل بتوقيع الميثاق يوم الخميس في ٢٢ أي بعد يومين ليتاح لأشهر
خطاطي مصر كتابة النسخة التاريخية الأثرية من الميثاق ولتعرض
المطبعة الأميرية المصرية الطبعة الممتازة الخاصة .

واجتمع دولة الرئيس كرامي في المفوضية اللبنانية يوم الأحد
في ١٨ آذار بشخصية سياسية كبيرة جداً اجتماعاً دام ساعتين
وشاهدته يودع ضيفه وعلى وجهه إشراق لم أره من قبل ، فسألته
مستبشراً عن نتيجة هذه المقابلة فأجاب دولته :

— أنتم معشر الصحفيين لا تؤمنون على سرّ ومهمكم افشاء
الاسرار فما العمل ؟

قلت : سأكون بئراً لا قرارة لها !

قال دولته : اسمع إذن ، لقد تقرر دعوة لبنان وسوريا إلى مؤتمر سان فرانسيسكو فهل أنت راض الآن ؟
- كل الرضى يا مولاي !

وكدت أطير من الفرح وأقبلت على دولة الرئيس اصافح يده
مهنئاً متمنياً له دوام السير بلبنان من فوز إلى فوز .
وهكذا يرى دولة الرئيس اني كنت أميناً للعهد الذي قطعته
على نفسي فقد حملت السر اسبوعين كاملين ولم أبح به لأحد ، ويرى
الزملاء الصحفيون ولا ريب اني بكتماني هذا قد خنت واجب المهنة
الصحفية لأول مرة ، ولآخر مرة ...

شهداؤنا أولئك الجنود المجهولون



نحن في الثاني والعشرين من آذار المصادف يوم الخميس ، وفي مفكرتي حفلتان رسميتان : الأولى حفلة توقيع ميثاق الجامعة العربية في الساعة الرابعة بعد الظهر في قصر الزعفرات ، والثانية الحفلة الملكية الساهرة في قصر عابدين على شرف الوفود العربية في الساعة العاشرة ليلاً .

وإذا كان هذا اليوم تاريخياً فريداً في أيام العرب السياسية بالنظر إلى توقيع الميثاق فهو ولا ريب تاريخي أيضاً في أيام الحفلات فقد كانت سهرة عابدين ليلة من ليالي العمر ، هيئات أن يجود عثمها الدهر !

واني محدثك اليوم عن جلسة الميثاق وغداً عن حفلة الملك ، مليكة الحفلات ..!



هذا هو العلم اللبناني يخفق في مقدمة الأعلام السبعة فوق قصر

الزعفران ، بعد أن نفّض عنه ألوان الخضوع ، فبدأ رمزاً لسيادة
قطر عربي يعشق الحرية ويريد الخير للجميع ويكره الأثرة - حتى
في الصداقات ! - ويرغب في حياة وادعة آمنة يتعاون فيها إلى
أقصى حد مع شقيقاته العربيات .

ويداعب النسيم الأعلام السبعة فتتجه كلها في اتجاه واحد كأنها
ت رمز إلى هذا الاتجاه الجديد الموحد الذي تنوي أن تحتفل به
الشعوب العربية بعد دقائق .

وآلني ألا أرى علم فلسطين بين الأعلام السبعة وأن تحرم
حراكش والجزائر وتونس - هذه الأقطار العربية مائة بالمائة والتي
أضم حوالي ٣٠ مليوناً - من المساهمة في جامعة الدول العربية ...
وكان دولة النقراشي باشا رئيس المؤتمر يستقبل الضيوف على
باب القاعة الكبرى بلطف وبشاشة بالغين ، ويصافحهم وهو مشرق
الوجه ، فبدأ لي كأنه ابن ثلاثين على الرغم من أنه تجاوز الخمسين ! .
وبعد أن اكتمل عقد المؤتمرين جلسوا حول مائدة كبيرة في وسط
القاعة - وظل مكان اليمن خالياً ! - وجلس المدعوون على كراسي
حفت حول المائدة - على غير نظام - فكان بعضهم يقف لي شاهد
ما يجري على المائدة . وكان عشرات المصورين يثبون كالقردة من
زاوية إلى أخرى ومعهم أنوار الماغنيزيوم - يرسلونها في أوجه
الزعماء - وكان وزير الصحة والمواصلات وفؤاد أباطه باشا رئيس

الاتحاد العربي واقفين ورائي ! - لقد حضروا الحفلة على طريقه
أمرى القيس « وقوفاً بها صحي على مطيهم » - والخلاصة لم تكن
الحفلة من الروعة والوقار والهيبة بدرجة تناسب وروعة هذه
الخطوة المباركة التي يخطوها العرب ! .

ولفت نظري أن المحتفلين بالجامعة العربية كانوا كلهم من الجنس
الحسن ولم تشترك سيدة واحدة في الحفلة ، لقد صدقت صاحبة
العصمة هدى هانم شعراوي حيث قالت : هذا ميثاق نصف الجامعة
العربية ! ...

وافتح الحفلة دولة النقرashi باشا بكلمة رصينة ثم تعاقب رؤساء
الوفود بكلماتهم وكان ترتيبهم حسب حروف الهجاء : سوريا ،
شرقي الاردن . العراق . لبنان . المملكة السعودية . وكنت
أراقب مندوب فلسطين الاستاذ موسى العلمي وهو يستمع إلى
الخطب فكان صورة ناطقة للحزن والأسى ! وحز في نفسي ألا
أسمع له صوتاً بين هذه الاصوات ...

وآلمني أن يعود العرب في خطبهم إلى فخرهم أيام الجاهلية
الاولى ، فاذا هم يتنافسون على شرف بعث الفكرة العربية ، وإذا
كل منهم ينسب هذا الشرف لنفسه . فهذا رئيس الوفد الاردني
يتحدث عن القنبلة الاولى التي أطلقها المغفور له الملك حسين في
الحرب الكبرى الماضية . وهذا رئيس وفد العراق يؤكد أن

الطلقة العربية الاولى كانت من « المدفع الهاشمي » . وهذا رئيس الوفد السعودي يرجع الطلقة الاولى إلى ذلك الاجتماع التاريخي بين جلالي الفاروق وابن سعود في رضوى بالحجاز .

وتنتهي الخطب أو الطلقات ويبدأ توقيع الميثاق فاذا بالطلقات تتجدد ولكنها حقيقية هذه ، توصلها مدافع مصرية في سماء القاهرة احتفالاً بتوقيع الميثاق ، وكأنها جاءت تضع حداً لهذا الخلاف ، وعددت الطلقات فاذا هي احدى وعشرون .

وآلمني أن يوقع الميثاق وهو أداة للسلم في العالم تحت لعلعة المدافع ، ولكنني ذكرت مدافع موسكو ترسل طلقاتها السلمية احتفالاً بالنصر ، فلماذا لا يحتفل العرب بهذا النصر ، اليس الميثاق نصراً من الله وفوزاً مبيناً ؟ .

وبعد أن دلفنا إلى مقصف حوى ما لذ وطاب خرجت مسرعاً لأعدّ اللعة لسهرة عابدين الملكية وإذا بمجاهد عربي كبير يتأبط ذراعي ويمس في أذني قائلاً :

- لولا لبنان لخرجت كئيلاً من هذه الحفلة فقد آلمني هذا التنافس على شرف بعث الفكرة العربية ، ولكن لبنان قال كلمة الحق ، وهو الوحيد الذي أساد في هذه الجلسة التاريخية بجهود شهداء العرب ، اولئك الجنود المجهولين الذين نسيمهم العالم العربي في هذه الغمرة من الفرح الشامل ...

ليلة من ليالي العمر !



مشكلتي في مآدب مصر الكبرى واحدة تكاد تكون مزمنة ، هي مشكلة الملابس الرسمية ! فالدعوة الى سهرة عابدين تشترط ان يرتدي المدعوون ثياب السهرة والنياشين . اما بذلة السهرة فهي « الفراك » او « الارنبه » - في لغة أسيادنا رجال المجمع اللغوي الملكي - وكان علي ان استأجرها هذه المرة من شارع عماد الدين حيث تقوم اندية اللهو والمسارح ، في حانوت صغير يقدم الملابس للممثلين ويجهز روايات كشكش والكسار وغيرها .

نقدت صاحب الحانوت جنبيين مصريين فناواني « ارنبه » عتيقة انتزعها باعجاب ورفق من دولاب كانت متدلية فيه ، غريبة وسط ملابس تمت الى العصور القديمة والوسطى ، بين قميص « عطيل » وسروال « هملت » ورداء روماني ليوليوس قيصر !

آلمني ان يجسني صاحب الحانوت الممثل الاول في فرقة ناشئة للهواة في الارياف فيعرض علي ملابس اخرى للسيدات ويعمدني

بالمهاودة في الاجرة ...

وما ان وصلت الى الفندق حمل « الارنبه » حتى ذكرت قضية النياشين وتمثلت نفسي في الحفلة عاطل الصدر من الاوسمة بين هذه الصدور العربية والاجنبية العامرة بالنياشين البراقة ، وانا الذي ما قت بحيااتي بعمل استحق من اجله شكر الوطن ، اللهم الا وساماً لا أدري كيف جاءني بالبريد المضمون من سلطان مراکش - هناك يقدرون العلم والفضل !... - ولا اذكر ما صنعت به طفلي التي كانت تزين به صدر دميته فخطر لي ان اعود الى حانوت شارع عماد الدين استأجر منه ما تيسر من الاوسمة ولكني عدلت لضيق الوقت ...

وحوالي الساعة العاشرة كنت في سيارة « تاكسي » على ابواب قصر عابدين بملابس السهرة - اي السروال القصير والسترة الضيقة والصدريّة القصيرة ولك ان تبتسم اذ تعلم ان جيوب السروال لا تقف اليد فيها عند الحد المعين لانها ممزقة ... فلم أجد جيبياً اضع فيه علبة السكاير والمحفظه - المهم اني دخلت القصر كما يدخله العظماء وبملابس العظماء ..

وزلت بي القدم وانا اسير مجذائي اللعاع الجديد على المرمر اللعاع البراق فكدت اهوي كالتل الكبير - وكادت تقع السكارثة

— لو ان لطف ربك وامسكني احد الحراس بعد ان تم ادبتي
ذات اليمين وذات اليسار فأفادني ما كنت قد حذقتـه في فن
التزحلق ايام الدراسة ...

وتابعت السير وسط صفين من الحرس الملكي ، بقاماتهم المديدة
الممشوقة كالرماح وبشبابهم الريات وسمرتهم الحلوة وملابسهم
الانيقة ، ووقفتهم العسكرية الجامدة ، حتى خيل اليّ وانا انظر
الى احدهم قرب عمود من اعمدة القصر انه تمثال لولا ان تحركت
عيناه ...

ما هذه العظمة وما هذا الجلال يا ناس ! لقد زرت قصور
فرساي مقر آل بوروبون ، فلم تبعث في نفسي هذه الروعة التي
شعرت بها وانا اجتاز الردهات الفخمة في عابدين من قاعة عظيمة
الى بهو اعظم ! ما هذه النقوش البديعة في السقوف وما هذه
الانوار المتلائية والمنتشرة في كل مكان وما هذه التحف الفنية
الرائعة لاشهر فناني العالم تزين الجدران ! هذا اسماعيل وهذا
ابراهيم وهذا محمد علي وهذا مشهد لاحدى المعارك ! ...

وآلمني الا استطيع الوقوف طويلاً امام كل تحفة من هذه
التحف فسيل المدعويين يتدفق عليك ان توالي خطواتك بانتظام
حتى لا تعرقل حركة المرور ...

واخيراً وبعد ان اجتزنا نحو عشر قاعات انتهى بنا المطاف الى

حاولون فسيح جداً كان يعج بالمدعويين بآرائهم وقد انتثروا حلقات
حلقات فانتجيت زاوية مع صديقي الاستاذ فؤاد صروف
والدكتور بشر فارس ، استمع الى حديثهما الطلي وأنفرج على
الناس من بعيد محاولاً ألا يراني أحد بهذا الزي العجيب ، ولكم
وددت ألا أكون في ملابس شارع عماد الدين فارسل نفسي على
سجيتها وانتقل من حلقة إلى أخرى بطلاقة وطمأنينة ...

وبعد ربع ساعة فتح بابان كبيران وانطلقنا نجتاز قاعات
جديدة فسيحة الى ان بلغنا مسرح القصر وهو مجسم متدى وست
هول ولكن على طراز فخيم يتناسب وروعة القصر .

وبعد ان استقر المدعوون في أماكنهم دخل جلاله الفاروق
فوقفنا وعزف النشيد الملكي ثم جلس جلالتة في الصف الامامي
والى يمينه سفير بريطانيا اللورد كيبارن وعن يساره سفير ايران
محمود جم ثم رؤساء الحكومات العربية والوزراء المصريون والوفود
ووزعت علينا مناهج الحفلة المطبوعة طبعاً انيقاً ملوناً مذهباً
وبدأ مهرجان الجامعة العربية فشاهدنا الآنة هاجر تقوم برقص
عربي اخاذ ، راق دولة الرئيس كرامي فقال لجلالة الفاروق مداعباً :
- هذه توابل الجامعة العربية ! ..

فقهه جلالتة وضحكت القاعة واسبغ عليها الفاروق حفظه الله
جواً من المرح والخبور .

وبعد ان شاهدنا العباباً بلهوانية ممتازة ورقصاً غريباً بديعاً
وفصلاً من رواية مجنون ليلى لشاعر العرب شوقي جاء دور بلبل
العرب وكروان الشرق صاحبة العصمة أم كلثوم فصدحت بقصيدة
للشاعر محمد الاسمر :

زهر الربيع أرى ، ام سادة نجب	وروضة ابنعت ، ام حفلة عجب
تجمع الشرق فيها فهو مؤتلق	كالعقد يلمع فيه الدر والذهب
كفاه ان يد (الفاروق) تنظمه	وانه أمل ، للشرق مرتقب
بني العروبة هذا القصر كعبتنا	وليس فيه من الحجاج مغترب
عجبت للنيل ، وهو الماء ينسكب	يكاد من لفحات الشوق يلهب
حياكم وهو جذلان ، وقال لكم	ان العروبة فيما بيننا نسب
« هذي يدي عن بني مصر تصافحكم	فصافحوها تصافح نفسها العرب »

رما ان وصلت أم كلثوم في انشادها إلى البيت الثالث في مدح
الفاروق حتى اخذت النشوة دولة النقراشي باشا فرغب ان يستعيد
البيت ولكن البروتوكول يمنع مثل هذا الطلب من رئيس مصري في
حضرة المليك ، فمال الى دولة الرئيس كرامي واستحلفه بكل غال ان
ينوب عنه في هذا الطلب ، فاعتذر الرئيس كرامي ولكنه نزل اخيراً
عند رغبة النقراشي باشا والحاحه واذا بالقاعة تسمع صوتاً ينادي :

— كان ، والله كان ، يا ام كلثوم ! ...

ويضحك جلاله الملك ونضحك جميعاً ونصفق طويلاً ...

وانتهى المنهاج وخرج جلالة الملك يتبعه المدعوون واجتازنا
طريقاً جديدة وشاهدنا قاعات جديدة . وسحرتنا بصورة خاصة
حديقة النبات الشتوية Winter Garden وانتهينا الى مقصف لا
يقال عنه الا انه ملكي ...

وتوسط جلالة الفاروق المقصف بوجهه المشرق وطلعت المهيبة
الوضاءة ، يوزع احاديثه الودية الطيبة وملحه الطريفة على رؤساء
الوفود ، وعلى ثغره ابتسامة طبيعية لا تفارقه ، فنسيت ان في
القاعة اناساً ، فلم ار سوى الملك ، وقضيت دقائق اتأمل وجهه
الكريم فقرأت فيه الصدق والاخلاص ، وشعرت - وانا الجمهوري
الصميم - في هذا البلاط العظيم لأول مرة بحب للملكية ، وشعرت ايضاً
بعد ان القيت نظرة على سائر المدعوين بان الملكية لا ترتجل ارتجالاً ...
قضيت عشرة ايام في القاهرة لم اعش فيها سوى ليلة واحدة ،
هي ليلة عابدين ، وها هي قد ولت مع الاحلام العابرة ...

* * *

وقال لي الدكتور بشر فارس ونحن نغادر عابدين :
- لقد ادهشك عابدين اليس كذلك ؟ ولكنك يا صديقي ، لم
تر « قاعة العرش » وهي ابنى القاعات ! .
فقلت له :

- بكفني اني شاهدت صاحب العرش !

على الرصيف! ...



حلقات ثلاث اعجبته في مصر، وهي تعجب كل اديب وصحفي وسياسي، وكنت اجد فيها نزهة روحية، تروح عني عناء العمل المتواصل - فالحفلات والمآدب والمقابلات الرسمية اشغال شاقة ومرهقة! - لذلك كنت آوي اليها كلما سنحت لي الفرصة، الاولى حلقة حلمي عيسى باشا في الكونتيننتال، والثانية حلقة الاستاذ الجميل في « شلة الاهرام » والثالثة على الرصيف!

وتبدأ حلقة الباشا حوالي الساعة السادسة مساء في الفندق وتضم نخبة ممتازة من رجال الادب وفي طليعتهم الزيات والحكيم والكيلاني وصديق لبنان الوفي احمد رمزي، واسعد داغر والمازني وسامي السراج وسواهم، وصدف ان كان المربي العلامة ساطع الحصري في القاهرة فانضم الى الحلقة، وكان يتردد اليها من وقت لآخر دولة الرئيس فارس الحوري.

ولعل القراء يعرفون فارس الحوري والقانوني والسياسي ولكنهم

لا يعرفون عن ادبه شيئاً... ولا عجب فهناك كثيرون نبغوا في ناحية من نواحي الثقافة ، طغت على سائر النواحي فحجبتهما ! ألم يشتهر ابو نواس بالشعر وكان من اكبر المحدثين ! واشتهر الشافعي بالفقه وهو من اعظم الشعراء ! وعرف الامام علي بالفروسية والفلسفة والشعر والادب والقضاء ولكنه لم يشتهر بالنكتة والفكاهة والدعابة مع انه كان له فيها كلها نصيب وافر ! .

وجرى الحديث ذات ليلة عن ابي العلاء فطرح دولة الحوري هذا السؤال :

— هل كان ابو العلاء مؤمناً ؟

فانبرى الاستاذ الكيلاني يرد بطلاقة تتم عن سعة اطلاع شارحاً « رسالة الغفران » في فلسفة ابي العلاء فقال ان المعري كان مؤمناً ولكن ايمانه يختلف عن ايمان رجال عصره . وما اشد دهشتنا حين سمعنا دولة الرئيس الحوري يستشهد بما كتبه اديبنا الاستاذ عبدالله العلايلي وبابيات ابي العلاء ، فاذا هو يحفظ سقط الزند واللزوميات ومولع بحكيم المعرة يعرف عنه مالا يعرفه المتخصصون في ابي العلاء من مواطنيه الشاميين ..

وينتقل الحديث بنا الى الشعر المعاصر فاذا بالحلقة تجمع على ان مصر لم تنجب حتى الآن من يستحق امارة الشعر بعد شوقي ، واذا بها تشفي او فر الشناء على شاعر القطرين خليل المطران ، واذا

بها تعترف بان شاعر لبنان غير منازع هو الاخطل الصغير وشاعر
سوريا هو عمر ابو ريشه .

اما حلقة الاستاذ انطون الجميل في مكتبه « بالاهرام » فتفتح
ابوابها في الساعة الحادية عشرة ليلاً ولا تحتتم قبل الساعة الثالثة
بعد منتصف الليل ، وهي حلقة خليطة فيها الوزير السابق والحالي
والطامح بالوزارة وفيها رجال السياسة على اختلاف احزابهم ،
يدفنون حزيباتهم عند المدخل في مكتب الاستاذ البهنساوي ،
قصير مصر وظريفها - وتضم نخبة ممتازة من رجال الفن والصحافة
والنواب ، يجلسون حول مكتب الاستاذ الجميل يسمررون
ويتحدثون بينما يعمل رئيس تحرير « الاهرام » في مراجعة الانباء
والمقالات ويشترك معهم في الحديث ويأكل « الحمص بالطحينة »
والحلاوة اللبنانية ، وهو يجيد التنسيق بين هذه الاعمال الثلاثة
ويخلق في كل منها الى حد بعيد ..

ولعل الكثيرين لا يعرفون شيئاً عن « بوفه الاهرام » الذي
يجد الزائر فيه ما يطلبه من طعام وشراب بأسعار مهاودة ولا سيما
المأكولات اللبنانية ...

واتيح لي ان اتعرف في « الاهرام » الى قطبين من اقطاب
« الشلة » وهما التوأمان الاستاذان مصطفى وعلي امين صاحب
« اخبار اليوم » ، فاشكل علي التمييز بينهما اول الامر ، لولا انني

اعتمدت رباط الرقبة علامة فارقة في الليلة الاولى ، ولكن القضية
تمعدت من جديد في الليلة الثانية عندما بدل كل منها رباط رقبته !
وسمعت الاستاذ كامل الشناوي يقض احاديثه الطريفة واعجبت
بالقائه وهو ينشد قصيدة لايلىا ابو ماضي بناء على طلب الاستاذ الجميل
المعجب اعجاباً شديداً بشاعر المهجر الكبير .

وتتخلل هذه الاحاديث النكات والنوادر وتنتقل الموضوعات
من الجد الى المزول ومن العلم الى الفن والادب والسياسة فتمر
الساعات سراعاً وانت جالس في مكانك لا تشعر بها تستعرض
رجالات مصر والاقطار العربية وحوادث الساعة المحلية والاجنبية ..
وتستمع بظرف الشيخ الجميل وانسه وادبه .

ولعلك تدعش اذا انبأتك ان الاستاذ انطون الجميل على الرغم
من مشاغله الكثيرة في « الاهرام » ومجلس الشيوخ يتبع باهتمام
الحركة الادبية في لبنان ويطلع مجلاتنا الاسبوعية بانتظام ، ورأيت
ذات ليلة يطلع بشغف الازجال اللبنانية في جريدة « اميرالزجل »
ويتغنى باحد مقاطعها ..

اما حلقة الرصيف فتعقد قبل الظهر وبعده على رصيف مقهى
في عمارة « ايموبيليا » - اضخم بناية في الشرق الاوسط - وقوامها
توفيق الحكيم بطاقيته الكحلية التي لا تفارق رأسه ، ومنضدة
وكتاب وفنجان من القهوة - اين الحمار ؟ - !

كل شيء في توفيق الحكيم يذكرني باناطول فرانس ، لاسيما تلك
الساعات الطويلة التي كان يقضيها اديب فرنسا على ارضه « السين »
يتفحص الكتب القديمة المعروضة على الجانبين ... ليست شبيهة
بهذه الساعات يقضيها الحكيم وحده على رصيف مقهى ! على ان ثمة
فرقاً واحداً ، وهو ان الحكيم يتفحص الكتب الجديدة !
ليست هذه السابعة السارحة في الشوارع طبعا جديدة
لكتاب قديم واحد هو الانسان !
هنيئاً للاديب يستمد ادبه من هذه الكتب المتحركة ..!
ذلك هو الادب الحي ..!

لبنان ضحية استعمارين !

•

كانت حفلة المفوضية اللبنانية بعد ظهر السبت في ٢٤ آذار على شرف الصحافة المصرية غاية في الاناقة ضمت نخبة متميزة من اركان صاحبة الجلالة وعلى رأسهم شيخ الصحافة العربية غير منازع الشيخ الوقور الاستاذ الكبير فارس غرباشا مؤسس «المقطم» و«المقتطف» وهو الآن في الثانية والتسعين أمد الله في عمره .

انتظم المدعوون حلقات وكان دولة الرئيس كرامي ينتقل من واحدة الى أخرى وينثر أحاديثه المشبعة بالدعابة والنكتة الموفقة . بينما كان وزيرنا المفوض يوسف بك سالم ورجال المفوضية يبالغون في اكرام الضيوف ويدعونهم الى مقصف فاخر حوى ما لذ وطاب وكان دولة الرئيس كرامي واسطة التعارف بين غرباشا والنائب جورج بك زوين (عميد السن) فتسائل احدهما الحضور : ترى ايهما اكبر سناً فاذا بالشيخين ينسجبان وينتحيان زاوية بعيدة ، متأبطاً كل منهما ذراع الآخر ، ويتحدثان همساً — ما أروع هذا

البياض في هذين الرأسين المتساندين هو غبار وقائع الدهر ! -
ويفضي كل منهما الى الآخر بسنه الحقيقية ، ثم يعودان ضاحكين
وقد اتفقا على حسم عشرة في المائة فقط من عمرهما ، فكانت سن
نمر باشا ٨٢ وسن النائب زوين ٧٢ !

وتنطلي علينا المؤامرة او نتظاهر بذلك على الاقل ، وتبدو
امارات الارتياح ، على وجه الشيخين فاذا بهما يستسلمان الى دنيا
الخيال برهة من الزمن وينعمان بلذة الوهم ، لم يعودا عشر سنوات
الى الورا ..! - ثم لا يلبث ان ينغص عليهما الحادم هذه المتعة
الوهمية فيعود بهما الى عالم الحقيقة اذ يناول كلا منهما فنجاناً من
الشاي يأخذه بيدين ترتجفان ، فتغيب تلك الابتسامة الحلوة لتخلفها
كآبة السن ، وان للسن كآبة واية كآبة ..!
ان للسن لهماً ، حين تملو وعذاباً ..!

ويخطب أحد الصحافيين المصريين مرحباً بدولة الرئيس كرامي
ورجال الوفد شاكرآ باسم الصحافة المصرية للمفوضية اللبنانية
حفاوتها فيرتجل دولة الرئيس كلمة من كلماته الموقفة ما ازال
اذكر منها هذا المقطع الاخير الذي قوبل بالتصفيق والهمتاف .
قال :

لقد كان لبنان فيما مضى ضحية استعمارين غاشمين : استعمار

باسم الدين ، واستعمار اشد وأدهى باسم التمدين ! ولكن لبنان
الجديد قد نفّض عنه غبار هذين الاستعمارين وخلع ثوب الطائفية
البالي ، ونذر نفسه للاستقلال التام والعروبة ! »

وكان الاستاذ فارس نمر باشا قد آلى على نفسه - وهو الخطيب
المفوه - الا يخاطب في حفلة عامة نزولاً عند رغبة الطيب الذي
حظر عليه كل انفعال نفسي ، ولكنه بعد ان سمع كلمة دولة
الرئيس وقف ويداه ترتعشان ، وقال هذه الكلمة بصوت متهدج
ودمع الفرح يهطل من عينيه :

ساخالف عامداً متعمداً نصيحة الطيب ، واذا مت بين يديكم
الآن فاني أموت قرير العين فاعم البال ، فقد رأيت احلام طفولتي
الذهبية حقيقة واقعة في هذا الميثاق الذي وقعه رجال العرب !
وسأذهب الى العالم الاخر وأبلغ رفاقي المجاهدين الذين سبقوني الى
دار البقاء ، ان العرب قد وحدوا كلمتهم ، وان جهودهم وتضحياتهم
لم تذهب عبثاً ... وسنقيم في دنيا الخلود عرساً للعروبة تشترك فيه
الملائكة الاطهار وأرواح الشهداء ...

وجلس الشيخ وكان كل عرق فيه ينتفض لشدة الانفعال والتأثر
وكانت الدموع تسيل مدراراً على خديه الورديين - رغم الشيخوخة -
فلم نتمالك عن البكاء ، فكان فريق منا يصفق وفريق يمسح عينيه ..
والنفث فاذا بنائب جبل لبنان جورج بك زوين يمسح عينيه

فاقتربت منه مداعباً وقلت له :

- وانت تبكي يا جورج بك وتذرف دمع العروبة ؟ فأجاب :

- انا عربي اكثر منك !. انا عربي وأبي عربي وجدي عربي ،

ولبنان عربي ولا يمكن ان يكون غير ذلك ..!

قلت : - هذا تصريح « لبيروت » ؟

فأجاب :

- نعم « لبيروت » وللدنيا قاطبة ...

وأعجبني الاستاذ الشيخ آدمون الكسبار نقيب المحامين - وكان

قد وصل بالطائرة منذ نصف ساعة - يصرح في حلقة ضمت الاستاذين

القانونيين فؤاد عمون وصبحي الحمصاني :

- ميثاق الجامعة خطوة مباركة ولكننا نصبو الى أبعد من

ذلك بكثير !.

صاحبة الجلالة ...



شعرت في هذه الأيام العشرة التي قضيتها في مصر بان للصحافة فيها مكانة محترمة تحسدها عليها صحافة لبنان وسوريا والعراق . ولعل الصحافة المصرية مدينة بهذه المرتبة الرفيعة الى عاملين اثنين :

اولا : الطبقة التي تعمل في الصحافة .

ثانياً : التجهيزات الصحفية .

فاصحاب الصحف المصرية - العربية منها والفرنجية - يمثلون بوجه عام النخبة الفكرية في مصر وجلهم من حملة الشهادات العليا الجامعية ومن ذوي الثقافة الرفيعة ، ولا نغالي اذا قلنا انهم بمجموعهم اعلام الادب والسياسة ، بينهم النائب وعضو مجلس الشيوخ والوزير والاستاذ في الجامعة ، والعالم والمؤرخ والاديب . فالاستاذ خليل ثابت والشيخ انطون الجميل (عضوان في الشيوخ) والاستاذ فكري اباضه (نقيب الصحافة ورئيس تحرير المصور) ، والتوأمان مصطفى أمين وعلي امين (صاحبا اخبار اليوم)

والشناوي والهامصي وجودة اعضاء في مجلس النواب . والوزير
مكرم باشا عبيد (صاحب الكتلة) وحسين هيكل باشا رئيس
الشيوخ . والاساتذة العقاد (عضو الشيوخ) والزيات والمـازني
وصروف وطه حسين والحكيم واحمد امين ، وابو الفتح والتابعي
واسعد داغر ، عمدة الادب في مصر ، وصاحب دار الهلال اميل
وشكري زيدان ، وصاحب الجورنال ديجيت ادمار جلال يجمعون
بالاضافة الى ثقافتهم الرفيعة ودراستهم النظرية العالية للصحافة
استعداداً فريداً وخبرة طويلة .

هذه الثقافة الرفيعة وهذا المستوى الراقى الذي ينتمى اليه
رجال الصحافة المصرية ، انزلا صاحبة الجلالة هذه المنزلة المحترمة في
عين الحكومة وفي قلوب الشعب .

اما التجهيزات الصحفية في مصر فحديثها طويل : الورق موفور
والصحف تصدر باربع او ست صفحات وتصدر ست مرات في
الاسبوع ، وتكاد تجد لكل صحيفة مصرية مطابعها الحديثة الدوارة
(روتاتيف) التي تطبع الجريدة بجميع صفحاتها مرة واحدة وبالالوان
وتطويها بمعدل عشرين الف نسخة في الساعة !

وقد رأيت مطبعة جديدة احضرها من اميركا الزميل الاستاذ
جلاد صاحب الجورنال ديجيت الفرنسية وهي تطبع الجريدة
بصفحاتها الثماني او الست عشرة مرة واحدة بمعدل ٧٢ الف نسخة

في الساعة .

وشاهدت بناء دار الهلال الجديد ، وهو افخم بناء صحفي في الشرق .

والجرائد المصرية لا تعتمد الطريقة القديمة في تنضيد الحروف بل تستعمل « اللينوتيب » او « الانتوتيب » وهي آلة كالألة الكتابة يضرب عليها العامل فتسكب بالرصاص المصهور حروفاً وكلمات تطبع عليها جريدتك ثم تعيد صهرها من جديد . الحرف يتجدد كل يوم وفي هذا متعة للقارى . والآلة سريعة وفي هذا تلبية للصحافة الحديثة التي تعتمد السرعة قبل كل شيء !

والصحافة المصرية تعتمد في بوقياتها الخارجية على وكالات الانباء العالمية الكبرى كروتو والصحافة المتحدة ، وهي تتلقى البرقيات في مكتبها دون عناء بواسطة آلة لاقطة تجدها في كل صحيفة مصرية كآلة التلغراف تدون على شريط من الورق البرقيات طيلة ساعات النهار وبدون انقطاع .

وقد وقف اصحاب الصحف المصرية رؤوس اموال طائلة على صحفهم ، يدلك على ذلك هذه البنايات الضخمة التي تقوم فيها جرائدهم ، وهذه المكاتب الفخمة التي يعمل فيها المحررون ، وهذه المرتبات الكبيرة التي يتناولونها .

والصحافة المصرية الجبارة تغزو الاسواق في جميع الاقطار

العربية ، تنقل اليها جواً فتصل في الوقت المناسب وتباع بأسعار
ورخيصة فلا تلقى مزاحمة تذكر من صحفنا المحلية المسكينة !..

رأيت هذه النهضة الصحافية الجبارة في مصر وذكرت صحفنا
الهزيلة في صفحتين ، تصدر خمس مرات في الاسبوع - هذا اذا
حظيت بالورق - وتعتمد في انباءها الخارجية على ما تلتقطه مشوفاً
بواسطة الراديو او ما يردها مقتضباً من مكاتب الملحقين الصحفيين
البريطانيين والاميركان والفرنسيين . ولا نجد من الورق ما تسد به
حاجة قرائها ، وتعجز بحجمها الهزيل وحلتها المتواضعة ، ومادتها
الضعيفة واسعارها المرتفعة ، عن مزاحمة الصحف المصرية في لبنان ،
فكيف تزاوجها في مصر ؟.. قضيت عشرة أيام في القاهرة لم اقرأ
فيها صحيفة لبنانية واحدة !!. بينما يجد المصري عندنا جميع صحف
بلاده بانتظام .

آلني - بوصفي صحافياً ألا تكون صحافتنا اللبنانية - على
الرغم من كثرتها العددية - في هذا المستوى الراقى ، ولكني -
وأنا العدو للأقليمية الضيقة - وجدت العزاء كله في هذه الخدمات
الجللى تسديها الصحافة المصرية للعالم العربي وهذه الثقافة العامة
تنشرها منذ نصف قرن في مختلف اوساطه وطبقاته .

ووجدت امتيازاً واحداً لصحافتنا اللبنانية على زميلتها
المصرية ، ولا شك في أن زملاءنا المصريين يغبطوننا عليه ذلك أن
الصحافة المصرية ما تزال - وبإللاسف - توزع تحت كابوس المراقبة
في جميع الشؤون الخارجية والداخلية على السواء . فالرقيب المصري
يجلس على منضدة خاصة الى جانب المحررين في كل صحيفة مصرية ،
بينما أصبحت الصحافة اللبنانية طليقة من قيود الرقابة الداخلية
على الأقل !

ورأيت الشيخ أنطون الجميل رئيس « الأهرام » ذات ليلة
غاضباً -- على غير عادته -- يردد ويزبد ، ويقوم ويقعد ، فسألته عن
السبب فأجاب :

- هذا الرقيب الفطن حذف أمس من « الأهرام » نبأ داخلياً
هاماً فصدعنا بالامر ، وها نحن نقرأ النبأ نفسه منشوراً في جميع
الزميلات الصباحية !.. أين العدل يا ناس ؟..

فاخذت أخفف عنه وأروي له كيف كان الرقيب خلال
سنوات أربع - أيام العهد البغيض - يحذف كلمة « عربي » كلما
وردت في جريدة « بيروت » .

فاستغرب الصحفي الكبير هذا التشدد فأكدت له ان مجموعة
« بيروت » شاهدة على ذلك !..
وأردفت قائلاً :

- لقد حذفوا العروبة من السطور ولكنها ظلت كامنة أتتجج
في الصدور إلى ان دالت دولة الظلم ، فظهرت داوية ملء السمع
والبصر ، ورأينا لبنان يهر عروبه بالاجماع وإلى الابد في ميثاق
الجامعة العربية ...!

البذلة الجديدة !..



تعرفت الى الاستاذ فكري اباطه النائب المحترم والمحامي ونقيب الصحافة المصرية ورئيس تحرير مجلة المصور الغراء في مكتب الاستاذ شكري زيدان احد صاحبي دار الهلال ، فاذا هو انحف مما كنت أتخيله ، بادي النشاط كثير الحركة - كان طيلة الوقت يتنقل بين اركان المكتب - تبوق عيناه من خلال زجاج نظارتيه فيشع منهما العزم والثقة بالنفس ، انيق المظهر محتفظ بنضارة الشباب كأنه لم يقض عشرين عاماً في رئاسة تحرير اكبر مجلة اسبوعية عربية ولم يجاهد طيلة ثلاثين عاماً في خدمة القضية الوطنية لا يجيد عن خطة الحزب الوطني - لا مفاوضة قبل الجلاء ! ...

قال لي وعلى وجهه امارات الحيرة والدهشة :

- انا لا أفهم يا استاذ ، لماذا يحرص اللبنانيون والسوريون هذا الحرص على الاشتراك في مؤتمرات فرنسيسكو . لا أفهم لماذا تعلقون هذه الالهية على دعوتكم الى المؤتمر ، حتى أخذتم

تتوسطون لدى الدول الحليفة والعربية للحصول على البطاقة ! ان هذا الموقف الذي تقفونه لا يتفق وكرامتكم الوطنية في شيء ! لقد أغفلت الدول دعوتكم فلا تذهبوا ولا تكتثوا ، واياكم ثم اياكم ان ترسلوا - اذا لم تصلكم الدعوة الرسمية - وفداً غير رسمي ، يقف على الابواب وينظر من ثقبها ! وهل تظنون ان مؤتمر سان فرانسيسكو سيقدر شيئاً جديداً ؟ واخيراً فاني لا أفهم هذا الاهتمام البالغ بيديه اللبنانيون والسوريون بشأن دعوتهم الى المؤتمر ، فكأنها قضية موت او حياة لهم ! ...

قلت له :

- انت يا استاذي شديد التشاؤم ، اما نحن فمتفائلون ... قد أسلم معك بان اشتراكنا او عدمه لن يغير في مقررات المؤتمر ، ولكن دعوتنا الى هذا الاجتماع الدولي قضية موت او حياة لنا لانها تتعلق باستقلالنا !

وهنا قاطعني الاستاذ ضاحكاً :

- الاستقلال ! لقد صدق ذلك الظريف الذي قال لي يوماً ان اللبنانيين أصبحوا لا يتحدثون بغير الاستقلال حتى انك اذا قلت لاي لبناني : « نهارك سعيد » اجابك حالاً : واستقلال لبنان بحدوده الحاضرة ؟! ..

فضحكت وتابعت حديثي :

— نعم ان الموضوع يتعلق باستقلالنا ، فاذا دعينا الى المؤتمر كانت دعوتنا بمثابة تأكيد وتأييد لهذا الاستقلال . واذا اغفلنا فاننا نأول هذا الاغفال تراجعاً من الدول الكبرى وعودة الى فكرة الانتداب البالية .

وبدا لي ان الاستاذ لم يرقه هذا التعليل ، فقلت له مداعباً :
— لبنان ، يا سيدي الفاضل غلام بالنسبة الى الدول الكبيرة ، وقد ظفر هذا الصبي بعد جهاد وعناء وتضحيات بثوب جديد زاه ، هو هذا الاستقلال ففرح به كثيراً ! ومؤتمر سان فرانسيسكو بمثابة عيد الامم المتحدة ، ان لبنان الصبي يرغب ان يرتدي هذه البذلة الجديدة الزاهية لأول مرة وفي اول عيد ! فهل بوسعك ان تقنع صبيّاً بالا يفرح ببذلة العيد ؟ ..
ضحكنا كثيراً وضحك الاستاذ شكري زيدان وقال كلمته الماثورة : مش بطل ! ...

لقد اخطأ الاستاذ اباضه في تشاؤمه — فخطه الحرد لم تعد تجدي نفعاً — ، وقد احسن اللبنانيون والسوريون صنعا في تشبهم بالدعوة الى المؤتمر ، وهذا وفدنا في طريقه الى سان فرانسيسكو وسيجلس في الخامس والعشرين من هذا الشهر لأول مرة في تاريخ السياسة العالمية على منضدة واحدة وعلى قدم المساواة مع الدول

الكبيرة ...

وسيحضر الاستاذ اباظه الملحق الصحفي الوحيد بالوفد المصري
جلسة الافتتاح ولا ريب ، وسيؤي لبنان الصبي مع شقيقته الكبرى
مصر ، في معرض الامم المتحدة ببذلتها الجديدة !

المقابلة الملكية السعيدة

انا في مصر ضحية البروتوكول !.



نحن في فندق « ناسيونال » في القاهرة عام ١٩٣٧ ، الساعة الواحدة بعد الظهر ، وقد حدد كبير الامناء الساعة الخامسة موعداً للتشرف بمقابلة صاحب الجلالة الملك فاروق الاول في سراي القبة وابلغنا سعادته ان البروتوكول يقضي بان تكون الملابس رسمية من نوع « ريدنجوت » !

كنا اربعة ، وكنا نؤلف وفداً عن جمعية المقاصد الخيرية الاسلامية في بيروت برئاسة عمر الداوق بك وعضوية السيدين أنيس الشيخ بك وحسن القاضي بك والفقير اليه تعالى ...

سألت الرفاق عما اذا كانوا يقتنون هذه البذلات السوداء فاجابوا بالايجاب فكلهم مخضرم أدرك العهد العثماني وعهد الانتدابات وكلهم يملك بقايا تلك البذلة التي كان يقابل بها الوالي التركي ايام المواسم في عهد السلاطين !...

أما أنا - الحديث العهد بالبروتوكول - فلم اكن لأميز بين

« الريدنجوت » و « البونجور » و « الفراك » و « السموكنغ » ،
و غاية ما عرفه عنها انها بذلات رسمية سوداء يرتديها العظماء في
الحفلات الرسمية والخدم في المطاعم الانيقة والفنادق الفخمة !
وكان يعجبني خادم في فندق « ناسيونال » باناقته الكاملة
والمديدة ، فقلت في نفسي لعل هذه البذلة التي يرتديها الخادم هي
« الريدنجوت » المقصودة فاستعيرها منه أو استأجرها فتمتعي الحكاية
ولا يشعر بذلك احد !... ناديت على انفراد واسررت اليه بما يجول
في خاطري فابتسم بادب جم وقال :

- يا سيدي ، بذلتي شيء و « الريدنجوت » شيء آخر ، ولكنني
أعلم ان صاحب الفندق - وهو يوناني انيق ، ومن جسمك تقريبا -
يقتني « ريدينجوتا » جديدة فهل يأذن لي سيدي ان افاتحه بالامر ؟
- فاتحه ، ولكن بتكتم ولباقة ! وجنبي الفضيحة ، ستتر
الله عليك !

وعاد الخادم بعد لحظات وهو يبتسم قائلاً :
- بأسف صاحب الفندق جد الاسف فقد غادر « ريدينجوته »
مع سائر امتعته الرسمية في اثينا !...
شكرته ، وقطعت ذلك الامل الذي عقدته على صاحب الفندق
فاثينا بعيدة ! وبيننا وبين موعد المقابلة اقل من اربع ساعات ،
فما العمل ؟ ...

هنا بدا لي ان استعين باصدقائي اللبنانيين المتصصرين لعلي اجد
بينهم من يتكرم باعارتي « ريدنجوته » فتحل المشكلة ! تناولت
سماعة التلفون وخبرت جميع من اعرفهم ، هذا غائب عن منزله ،
وهذا قصير القامة ، وذاك غادرها في الاسكندرية والآخر يملك
جميع اصناف البذلات الرسمية ما عدا « الريدنجوت » ...

واخيراً عنّي ان اطوف بحوانيت الحياطين وكى الملابس
فسرت اذرع شارع سليمان باشا وكانت الساعة قد قاربت الثانية . اما
الحياطون فمعظمهم في فترة الغداء ، والمستخدمون لا يستطيعون
اللبث في قضية خطيرة كهذه ، واسيادهم لا يعودون قبل الرابعة !
واما حوانيت تنظيف الملابس وكيها فقد اجابني اصحابها بأنفة
وتعاضم عندها عرضت عليهم « قانون الاعارة والتأجير » :

- نحن لا نؤجر « هدموم » الزبائن ! عدت حزيناً كئيباً الى
الفندق وقد أسقط في يدي ، وانتحيت فاحية من ردهته الفخمة
افكر في هذه الاوضاع العجيبة السائدة في « كوكبنا الجميل »
وكيف يحول لون بذلتك او شكلها بينك وبين تحقيق امنية طالما
ناقت اليها نفسك !..

قلت : لا بأس ، حظك قليل يا رجل ! وغداً تعود الى بيروت
كما يعود الحاج من مكة دون أن يقف في « عرفات » او ينهل
من بئر « زمزم » !..

ولست أدري كيف الهمت فجأة ان ابوح بسر « الرندنجوت »
الى صديق المقاصد وصاحب فكرة التعاون الثقافي بين الاقطار
العربية وكيل وزارة المعارف العمومية محمد العشماوي بك (باشا
اليوم) الذي تفضل ورتب لنا هذه المقابلة الملكية السعيدة .

وللعشماوي بك معي حكاية قد لا تخلو من طرافة فقد تشرفت
عام ١٩٣٦ بمقابلة معالي احمد نجيب الهلالي باشا وزير المعارف للاتفاق
مع معاليه على معادلة شهادة المقاصد للشهادة المصرية وانتداب بعض
الاساتذة المصريين الى لبنان ، فاستدعى الوزير وكيله العشماوي
ليتناكر معه في هذه الشؤون ، فلما دخل علينا العشماوي بك
الديوان قدمني الوزير اليه قائلاً :

— عشماوي بك ، اقدم اليك الاستاذ عبد الله المشنوق بك —
ولم اك بيبكاً الا تلك الساعة !..

فابتسم العشماوي وأجاب فوراً :

— المشنوق ! هو عندي في أمان !..

وقفه الوزير ووكيله ضاحكين حتى استلقيا على مقعديهما ،
وشاركتهما تأدباً في هذا الضحك — وان كان يبدو لي انه عليّ —
واخيراً قلت للوزير :

— ايصح ان افهم النكتة حتى اشاوركما فعلاً في الضحك ؟
تساورا فيما بينهما بالنظرات ثم قال الوزير :

— لا بأس سنظلمك على النكتة : ان العشماوي كلمة عامية
مصرية وهي تطلق على الرجل الذي يتولى شئ المحكوم عليهم
بالموت ، وانت ترى يا سيدي اني قدمت المشنوق الى الشانق ! وانا
« ما ليش دعوة » بينكما !...

فضحكت ضحكا عالياً جدد ضحكهما فالضحك يبعث الضحك ،
كما ان « الاسى يبعث الاسى ! » ...

واجتمعنا بعد عام في مأدبة أقامها المغفور له طلعت حرب باشا
زعيم النهضة الاقتصادية المصرية على شرف وفد المقاصد في مصر
حضرها الهلالي باشا — وهو اظرف مصري عرفته — والعشماوي
بك ووزراء آخرون ، وكنت جالسا الى جانب العشماوي على
المائدة فقال الهلالي باشا على البداهة مخاطباً العشماوي بك :

— عشماوي بك ، 'الا يزال « جبل الود متصلًا بينك وبين
المشنوق » ؟ !..

نعود بعد هذا الاستطراد الى حديث « الردنجوت » اللعين فقد
اتصلت بسعادة العشماوي بك تلفونيا وقلت له :

— يا سيدي المفضل ، لن يتباح لي شرف المقابلة الملكية
السعيدة ، لاني لا املك « ردنجوتا » فما رأيكم ؟

— الحكاية بسيطة جداً ، سأرسل اليك حالاً مع سائق سيارتي
بذلتى الرسمية الخاصة فجربها وارجو ان تناسبك ...

شكرت له هذه المنحة فقد انقذني من هذه الورطة ولكن
ليلقيني في ورطة أشد وأدهى ! فالعشاوي بك يضع الرقم القياسي
المصري في طول القامة ونخافة البنية ! فكيف ارتدى بذلته ؟
جلست ساهما افكر في هذه المشكلة الجديدة عندما قطع علي سائق
السيارة تأملاتي وهو يحمل « الردنجوت » في بقعة من الحرير الخالص .
ويظهر ان الخادم لم يكن كتوماً كما اوصيته - شأن جميع
الخدم - فقد بدا لي ان خدم الفندق وبرابوته أصبحوا يعرفون
انني ابحث عن « ردنجوت » لاقابل جلالة الملك ، فكانوا كلهم
ينتظرون النتيجة !

صعدت الى غرفتي لاجرب الزي الجديد فلبست السروال أولاً
فاذا به يزيد في الطول نحو نصف ذراع ، وينقص مثله في موضع
الحصر ! ويستحيل علي ان ازدره ما لم الصق معدتي بظهري ! واما
السترة فطويلة جداً وهي تحتاج الى ان تكون مضاعفة في العرض
لتحيط بصدري !

فكرت ملياً في هذه المشكلة الجديدة ورأيت اخيراً انه لا بد
من اجراء عملية جراحية - للبذلة طبعاً - وعلى جناح السرعة فالساعة
قد قاربت الرابعة ولم يبق امامي سوى ساعة من الزمن !
استدعينا على الفور خياطاً فأغار على البذلة ينقل بهض الازرار
من مواضعها ، موسعاً ما استطاع توسيعه من اجزاها ، ثم غبن

السروال بعض الغبن ، ولم يلجأ في ذلك كله الى المقص . ووعدي
بارجاعها سيرتها الاولى بعد انتهاء المقابلة الملكية السعيدة
هذا اذا لم يطرأ عليّ انفجار من جراء ضيق السترة والسروال ،
وعندئذ فلن تعود « سالمة الى قواعدها » !.

وكان من المحتم عليّ ان ارتدي رباطاً خاصاً للرقبة يلتئم
والردنجوت فهرعت الى أقرب حانوت من الفندق فناولني صاحبه
رباطاً رمادياً مخططاً بالسواد !

سأله : - امزوج انت ؟

فاجاب مشدوهاً : نعم ، ومنذ سنوات ..!

- وهل لك اولاد ؟

- اربعة !

- اقسمت عليك بابنائك الاربعة ، قل لي اصادق انت في
اختيارك هذا الرباط للردنجوت أم أنت تود استغلال سداجتي ؟ ولما
حلف بحياة ابنائه الاربعة ، نقدته الثمن وهرولت نحو الفندق
لارتدي هذه البذلة اللعينة !

أرأيت طرداً من البضاعة وقد حزمته ايدي عمال اشداء
ماهرين وشده شداً وثيقاً بالحبال ليشحن الى بلاد نائية ؟ هكذا
بدوت بعد ان لبست القميص اليباس والقبعة العالية المنشأة ،
وزيججت اعضاء جسمي زجاً مكبوتاً مضغوطاً في الردنجوت الضيق

فكنت أشبه شيء بآلة موسيقية شدت أوتارها أقصى ما يمكن من الشد ، فاصبحت متوترة عرضة للانقطاع عند أول حركة يأتي بها العازف ، أو كنفخة مستطيلة نفخها طفل يوم العيد فافزع فيها ما احتوته رئاته والحناء في النفخ غير آبه للعواقب فاصبحت عرضة للانفجار عند أول لمسة .

نظرت في المرأة فوجدتني مخلوقاً عجيباً لا يمت بصلة إلى ذلك المخلوق الذي رافقني ثلاثة وثلاثين عاماً ، فقلت : ترى هل صدقت تلك العجوز التي نظرت يوماً في المرأة فانكرت خلقتها وقالت : سبحان الله لقد تغير كل شيء حتى المرايا ! ..

إن هذه المرأة من مرايا القديمة ؟

وعرضت نفسي على زملائي الثلاثة في هذا الزماني الغريب فكتبوا ابتساماتهم واستسلموا للأمر الواقع ... وقال أحدهم مداعباً : لا شك أنك ستكون بهجة المقابلة السعيدة ! قلت له : أي نعم ! وأي بهجة !

ولما هبطت أول درجة من السلم المؤدي إلى البهو ، لمحني ببري خبيث فهرول مسرعاً ينادي رفاقه ، وما أن وطئت قدمي آخر درجة حتى كنت أسير وسط صفين من الخدم والبرابرة يستعرضهم وهم يستعرضون صنعة الباري التي عبث بها التقاليد وشوحتها أي تشويه ...

ووقفت على باب الفندق سيارتان رسميتان تنتظران ، فلما
اقتربنا منها قلت لرفاقي وقد اخذوا يحتلون مقاعدهم في السيارة :

-- لن اجلس في السيارة !

- ما أنت صانع إذن ؟

- سأركب واقفاً ! ولتسر السيارة سيراً وثيلاً ! أنتم لا

تدركون الخطر المهدق بي .. ان أقل هزة قد تؤدي إلى انفجار !

وكان ما أردت ، وركبت واقفاً نصف وقفة ، وأنطلقت بنا

السيارة نحو سراي القبة العامرة وفجأة مرت فوق اخدرد لم يابه

له السائق فعاوننا ثم هبطنا فصحننا به فوقف ، لقد سمعنا صوت شيء

يتمزق ! فحصدت ملابسي من قبل فلم أجد شيئاً ، وفحصها الرفاق

من دبر فلم يعثروا على شيء وقال أحدهم :

- يظهر أن الأزمة داخلية ..!

ودخلت بنا السيارة حدائق القبة الفسيحة تنهادي فرأيت من

تنسيق الزهر والشجر على الجانبين « ما لا عين رأت ولا أذن

سمعت ولا خطر على بال بشر ! » ثم وقفت على باب القصر فنزلنا

وأخذ لنا بعض الحرس التحية ولكنني كنت مشغولاً عن ذلك كله

أتمس بيدي مواطن الضيق من سروالي واتفقدها ، فلما الفيتها سالمة

سري عني ، وتبعث الرفاق يقودهم أحد رجال التشريفات الى ردهة

الانتظار . وكنت اخلس النظر بطرف عيني بين الفينة والفينة

الى رجال الحاشية فلم المح في وجوههم اثرأ للردنجوت ولملهم الفوا
هذه المناظر .

وكان في القاعة زائران ينتظران دورهما للمشول بين يدي الملك :
احدهما مدير البنك الاهلي والثاني السيد المجدي سفير الافغان ،
وطاف علينا الخدم باللفافات الملكية الفاخرة واكواب القهوة
الفضية فجعلنا نحتسيها ونحن نتحدث عن الطريقة التي سوف نسلكها
لتحية صاحب الجلالة ، فقد ادخلت في روع الرفاق ان الطريقة
التركية القديمة ما تزال متبعة في البلاط وان علينا ان نتقدم
خطوتين الى الامام وخطوة الى الورا ونأخذ التحية من الارض
الى الرأس ثم الى الصدر . وقد قمنا بتجارب عديدة في الفندق
ومثلنا الدور بنجاح تام . قال احد الرفاق : هذا سفير الافغان
فتقدم منه واسأله ، وما ينبغيك مثل خير .

اقتربت من مواطن جمال الدين الافغاني وقد ارتدى بذلة سوداء
فضفاضة وقميصاً حريراً طرياً ، عاطلاً من رباط الرقبة ، وتدي
من جيب ستورته العليا منديل من الحرير الابيض فقات في نفسي
كيف يلتئم فقدان رباط الرقبة مع هذا المنديل المتدي ؟ ثم قلت
لعل هذا من مقتضيات البروتوكول في الافغان ! . القيت عليه التحية
فردها باطيب منها وبلغة عربية فصيحى متحركة الاواخر ، وسألته :
- نحن نتشرف بمقابلة المليك للمرة الاولى فهل لكم ان ترشدونا

الى الاسلوب المتبع في تحية جلالته ؟ .

فاجاب : انني ايضاً اقابل جلالته للمرة الاولى غير اني تشرفت بمقابلة جلالة المغفور له الملك فؤاد وكان يصافح زائريه بيده الكريمة . وجاء دورنا في المقابلة السعيدة فتقدم منا أحد رجال التشريفات . واذكر انه من آل يكن - وقد نسبت اسمه الاول - وقادنا الى هو عظيم مؤد الى قاعة الاستقبال الملكية . وقبل ان نصل الى باب تلك القاعة استعلم رئيس الوفد من الدليل عن الاصول الواجب اتباعها في تحية جلالة الملك فاجاب بدهشة : ليس ثمة اية أصول او تقاليد ، فجلالة الملك ديموقراطي وبوسعكم ان تساموا عليه كما ترغبون ! وهنا سلقني الرفاق بنظراتهم الحادة ، فقد علموا اخيراً ان تقاربنهم المتواصلة على اداء التحية الملكية على الطريقة التركية قد ذهبت مع الريح ...

ودخلنا القاعة والرهبة ملء نفوسنا لنقف عما قريب في حضرة ملكك تتعلق به قلوب المصريين والعرب وتحبه حباً يقارب العبادة ، والقي رئيسنا التحية قائلاً : السلام عليكم فرد جلالته بقوله : وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته . وكان جلالته واقفاً في وسط القاعة ، والابتسامة الوادعة على ثغره الوضاء ، ووجهه مشرق بالصحة والشباب وكأنه شعر بالتهيب يملأ قلوبنا فشاء ان يخلع على المقابلة جواً من الانس والبشاشة والمرح فقال :

أهلاً وسهلاً بكم، انا مسرور جداً بالاجتماع اليكم، تفضلوا تفضلوا .
وصافح جلالته كلامنا بقوة وحرارة ولما لمست يدي بهذه
الكرمية استعرضني جلالته بنظرة سريعة من رأسي الى قدمي فلم
يبتسم جلالته لمظهري العجيب فكانت منة قلدي بها جلالته لن
أنساها مدى الحياة .

وأشار اليها جلالته ان نجلس فبحث رئيسنا تأدياً عن أبعد
مقعد من جلالته وهم بالجلوس ولكن الفاروق حفظه الله ابي الا ان
نجلس الى جانبه فشكلنا حلقة ضيقة حوله ، وجلس الرفاق على
المقاعد الفخمة الوثيرة متأدين غاية الادب في جلستهم ، واما انا
فكنت أود ان اظل واقفاً - لاسباب لم تعد خافية على القاريء -
ولكن جلالته أمرني بالجلوس فكنيت ارفع الرفاق تأدياً في جلستي ،
فالموقف خطر ولست ادري كيف كانت تنتهي هذه المقابلة السعيدة
لو حدث الانفجار - لا سمح الله - وبدت مراويلي البيضاء ناصعة
من خلال سروال العثماني الاسود ...

وكان يعني في الدرجة الاولى أن أتميز الملابس التي يرتديها
جلالة الملك ، فاذا بها غاية بالبساطة والأناقة وتأنف من بذلة رمادية
واسعة - سبور - وقميص حريري رمادي في رقبته ورباط ملون عقدته
يد خبيثة فاهملت شدة تعمداً ، وحذاء رمادي مخملي ، وكان هندام
الملك في مجموعه ينم عن أناقة مبهلة ، وهذه في نظري غاية الأناقة .

واقسم للقارىء انني ما غبطت جلالة على عرش مصر ولا على
شبابه الغض الريان ، ولا على ما اتاه الله من بسطة في الجسم
والرزق ، بقدر ما غبطته على هذه السعة التي يرتع فيها جسمه خلال
هذه الملابس الفضفاضة ، وما تبعثه هذه الثياب في جسم لابسها من
راحة وطمأنينة بالنسبة الى ذلك الكيس الضيق الذي جعلني احرك
حركات آلية خالية من المرونة والحياة كجنود الحشب التي يلعب
بها الصبيان وتحركها آلات في جوفها ! ..

وبعد ان استمع جلالة الملك بعطف واهتمام الى كلمة قصيرة
ارتجلها رئيسنا معرباً عن شعور بيروت ولبنان نحو جلالاته ، اخذ
المليك الجليل يتحدث حديثاً طلياً ينم عن اطلاع واسع بشؤون
لبنان والعالم العربي ، وعاطفة سامية نبيلة ، وتواضع جم ،
وديموقراطية صحيحة ، وصراحة لا حد لها ، وكان اذا طال به
الحديث الجدي لطفه بنكتة حلوة مستعذبة ، وموقفة ، يضحك
فنضحك لها ، وكان يتحدث ناظراً الى الارض فاذا انتهى من
الفكرة ينظر نظرة خاطفة كأنه يتميز اثر الحديث في وجوهنا ،
ثم يستأنف نطقه الملكي الكريم .

ومضت علينا الدقائق سراعاً ونحن لا نشعر بها فقد خلبنا جلالاته
بجدته الممتع وبجو المرح الذي ساد هذا الحديث ، وفجأة توقف
جلالاته عن الكلام واعتدل في جلسته فقد دوى صوت مؤذن

القصر ينادي بعذوبة : الله أكبر ، الله أكبر ، أشهد الا اله إلا الله !
وساد الحشوع والصمت حتى نهاية الأذان وعندئذ تابع جلالته
الحديث في الموضع الذي تركه فيه وقت بدء الاذان .

وانتهت المقابلة السعيدة ، بانتهاء حديث جلالته فنهض ونهضنا
وتفضل جلالته وبالع في اكرامنا فتبعنا بوضع خطوات وعاد
فصافحنا وخرجنا وقد ادر كنا تماماً سر تعلق الناس بملك الكنانة !



اما الحديث الذي دار في هذه المقابلة فقد كان من المحتم ان
يظل سرّاً مكتوماً لولا ان الحوادث جاءت تذييعه للملأ ، فهذه
جامعة الدول العربية حقيقة راهنة وقد دعا اليها الفاروق في تلك
المقابلة السعيدة قبل ولادتها بثماني سنوات ..!

في الاوبرا الملكية مع صاحب « اهل الكهف »



كنت في القاهرة عام ١٩٣٧ موفداً بمهمة ثقافية ، وكنت بداعي هذه المهمة أتردد بانتظام على ديوان سعادة العشماوي بك وكيل وزارة المعارف العمومية إذ ذاك - ومعالي العشماوي باشا وزير المعارف المصرية اليوم - وكان سعاده يبذل أقصى جهده لتسهيل مهمتي فهو بحق الرائد المصري الاول للتعاون الثقافي بين مصر والاقطار العربية الشقيقة ، وإلى مساعيه يرجع الفضل في ايفاد أول بعثة من الطلبة اللبنانيين الى جامعة فؤاد الاول ومعهد التربية ودار العلوم .

و كنت كلما دخلت على سعاده الديوان الفيت على بابيه ازدحاماً هائلاً وحشداً غفيراً من ذوي الحاجات ، فالمراجعات كثيرة - و « المركزية » ما تزال شديدة الوطأة في مصر - والواقفون في ردهة الانتظار أكثر من الجالسين على تلك المقاعد القليلة المنتشرة هنا وهناك ، وكان حفظه الله يأذن لي حالا بالدخول ويدعوني إلى

الجلوس على إحدى أرائك الجلد الوثيرة قبالة مكتبه ثم يمضي في تصريف الشؤون الملحة ، وعندما ينجز المهم منها ، يتفرغ الى ومحدثني عن المساعي التي يبذلها في اختيار الاساتذة المصريين للبنان وتحضير نسخ من المناهج والبرامج والقوانين والمكتب المدرسية المصرية لنسنعين بها في بيروت .

و كنت في اثناء فترة الانتظار هذه ، التي كانت تطول احيانا الى أكثر من ساعة ، الهوتارة بمطالعة الصحف ، فاذا فرغت منها انصرفت إلى درس رياش الغرفة الفخمة من صورة جلالة الملك فاروق فوق رأس وكيل الوزارة إلى تلك الستائر القائمة واللوحات الفنية المنتشرة على الجدران ، واندرب - إذ أراقب سعادته خلسة ومن طرف العين - على ادارة المعارف ... وبعد فمن يدري ؟

وكانت تعجبني منضدة كبيرة انيقة في زاوية بعيدة من الديوان مغطاة بالجوخ الاخضر - تذكرني بمشيلاتها في قاعات اللعب بمونت كارلو - وحولها مقاعد ووراءها مكتبة ملاصقة للجدار تضم بعض الكتب المجلدة تجليداً ثميناً ... وشاهدت على أحد هذه المقاعد رجلاً نحيل البنية اعتيادي المظهر ، وأمامه كتاب يطالع فيه تارة ، وينظر الى السقف نظرة شاردة تارة اخرى ، دون ان يكثرث بما يجري حوله في الديوان ، فلم آبه له أول الامر وظننته ذا حاجة مثلي

ينتظر دوره .

ولكن زيارتي تتابع للديوان ، وكنت بعد ان احبي سعادة العشماوي بك التفت الى زاوية القاعة فاجد صاحبنا قابعاً في مكانه كالعادة ، ولم يكن دخولي ولا دخول سواي من الزائرين سبباً كافياً لاثارة فضوله أو اهتمامه ، بل كان لا يأبه لما يجري حوله فهو يعيش في عالم غير هذا العالم - وبمرور الزمن ألفت منظر ذلك الكهل القابع كالسهم بين المنضدة والمكتبة فأصبحت أنظر اليه كأنه جزء لا يتجزأ من ريش الحجرة .

ولم أجرؤ نادباً على سؤال سعادة العشماوي عن هذا الضيف المواظب لا يفارق الديوان لحظة ، كأنه ملاكه الحارس ، وذات يوم نفذ صبري واغتنمت فرصة سانحة فهمست في اذن وكيل الوزارة مستفسراً عن هذا الشخص العجيب الذي لا يخرج عن صمته ولا يفارق مقعده ، فعجب سعادته غاية العجب وقال :

- غريب والله ! انت لا تعرف الاديب الكبير توفيق الحكيم !
تعال يا امثاذ ! وفادى سعادته الاستاذ الحكيم الذي اقترب مننا ذاهلاً وجلاً كأنه عائد من عالم بعيد .. وقدمني اليه فنظر اليّ وهز يدي كأنه يصافحني امتثالاً لرغبة الوزارة . وتم بضع كلمات لم اتبين منها حرفاً واحداً ... ثم عاد الى مقعده موزعاً بين الكتب والسقف ! ...

وأصبحت بعد أن تمّ التعارف بيننا ، أحبيبه من بعيد - كلما دخلت الديوان - فيحيني بطرف عينه كأنه يريد أن يقول بانه أخذ علماً بذلك .

وشاء سعادة العشماوى ان يتكلف ويدعوني الى الاوبرا الملكية فقال لي ذات ليلة :

- حجزت لك لوجاً في الاوبرا هذه الليلة وسوف تحضر مسرحية من تأليف الاستاذ توفيق الحكيم - ولفظ سعادته اسم الأديب بصوت مرتفع - ولكن صاحب « اهل الكهف » كان مع اهل الكهف فلم يأبه لذكر اسمه .

وتابع سعادة العشماوي قوله :

- وسيكون رفيقك في اللوج اديبنا الكبير الاستاذ توفيق الحكيم ، مؤلف الرواية (بصوت عال ايضاً) .
هنا تحرك الحكيم حركة رجل عثر في طريقه فاصيب بصدمة ، فتداعى على مقعده ووجه البنا نظرة أودعها ما في نفسه من بأس وقنوط ، وهزّ رأسه اشارة الايجاب والاستسلام .

انا في الاوبرا الملكية أحتل لوجاً ممتازاً مع الاستاذ توفيق الحكيم اشاهد مسرحية « سر المنتحرة » تخرجها الفرقة القومية المصرية . وكان الاستاذ الحكيم يرقب باهتمام سير الرواية وحركات

الممثلين . وأما أنا فقد كان نظري موزعاً بين الرواية والمؤلف ،
اختلس النظر إليه لأتميز في وجهه أثر الاستحسان أو الاستياء .
فكان وجهه صفحة ملساء من النحاس لا تستطيع أن تقرأ فيها
حرفاً ...

وتحدثت إلى الأستاذ الحكيم في فترة الاستراحة بين الفصول
عن الرواية وأشخاصها فكان يسمع ولا يجيب إلا بإشارات غامضة
لا تفهم منها شيئاً .. ولكن عندما تطرقت إلى نقد الحوار بين
الممثلين وقلت له أن أبطاله يتحدثون الفرنسية باللغة العربية بدا على
وجهه بعض الاهتمام ولكن لم يلبث أن زال وهو يقول متكلفاً
عدم الاكتراث :
- ربما ! ..

وانتهت الرواية واسدل الستار على المشهد الأخير منها ، وفيه
تلقي الفتاة بنفسها من النافذة فتموت ، ولكن جمهور النظارة ظلوا
جالسين في مقاعدهم ولم يشعروا بان الرواية قد انتهت ... وكانهم
ما يزالون ينتظرون التمة ، وظلت مثلهم قابلاً في مكاني وتظاهرت
بالدهشة . ولكن الأستاذ الحكيم ايقظني من ذهولي وقال لي :
- تفضل يا استاذ ، لقد انتهت الرواية !

- حقاً لقد انتهت ؟ .. لم أشعر بذلك ... وعلى كل لم أدرك
يا استاذ سر المتحجرة ! فهل لك ان تبين لي سبب انتحارها ؟

وهنا كظم الاستاذ الحكيم غيظه وابتسم ابتسامة صفراء وقال
بتهمكم مكبوت :

- ليس من الضروري ان تفهم يا امْتَاز السرِّ لا سيما وانني -
أنا بنفسى - لا أعرفه ...

وكان يود ان يقول اكثر من ذلك وأعنف من ذلك ولكنه
اكتفى بهذا القدر اليسير !

وخرجنا من الاوبرا وانا اشعر بنشوة الظفر فقد استطعت ان
اخرج أديبنا الكبير عن طوره واعتداله بهذه الدعاية اللاذعة ...
وفي اليوم التالي التقينا كالعادة في ديوان سعادة العشماوى بك
الذى سألني عن ليلتي في الاوبرا، وعن « سر المستحرة » . فابتسمت
ونظرت بطرف عيني إلى الاستاذ الحكيم القابع في زاويته كالعادة،
فاذا بصاحب « شهر زاد » قد فارقه ذهوله فأفاق من سبات أهل
الكهف وإذا به يرقب جوابى باهتمام بالغ وعيناه مفتوحتان
تكادان تلتهمان كل شيء ..

ابتسمت وقلت للعشماوى :

- عظيمة ! . اليس كذلك يا استاذ ... والتفت إلى الاستاذ
الحكيم فاذا به وقد عاد إلى شروده موزعاً بين السقف والكتاب ! ..

وانقطعت زيارتي عن مصر حوالي عشرة أعوام فانقطع اتصالي

بالاستاذ الحكيم إلى ان أتيت لي زيارة الكنانة في اذار عام
١٩٤٥ لحضور ولادة جامعة الدول العربية ، فكان همي الاول ان
أبحث عن رفيقي في لوج الاوبرا الملكية ..
لم أجده في مكانه بدوان وزارة المعارف .. ولكنني وجدته
على الرصيف . بقارة الطريق . فالاستاذ الحكيم يقضي اكثر
اوقاته وحيداً على الرصيف ، في مقهى عمارة ايمومبيليا - أضخم
بناية في الشرق الاوسط - وأمامه منصة عليها فنجان من
القهوة وكتاب ! ..

توفيق الحكيم

يقص علينا ذكرياته مع شوقي في باريس



ها نحن في فندق « كونتيننتال » بالقاهرة في آذار عام ١٩٤٥
ننتظر ولادة جامعة الدول العربية .. ولقد كان المخاض صعباً اول
الامر ولكن الرئيس عبد الحميد كرامي استطاع بحكمته تسهيل
الولادة فجاء المولود السعيد سليماً قابلاً للحياة وهو اليوم يحبو نحو
الثالثة من عمره المديد .

ولم تكن الحلقات السياسية في الفندق لتطغى على الحلقات
الادبية ، بل كانت الآية معكوسة وكان نفر من رجال السياسة
يفضل مجالس الادب على المناورات السياسية وينضم اليها وقد
اجتمعنا حول فريق من ادباء مصر الاساتذة احمد حسن الزيات
وتوفيق الحكيم والمازني وكامل كيلاني وبشر فارس واحمد رمزي
القائم باعمال المفوضية المصرية في سوريا ولبنان سابقاً ، وكان يرأس

الحلقة عيسى حلمي باشا ، وكان في عدادها المربي الكبير العلامة ساطع الحصري وغيره ممن لا تحضرني أسماؤهم .

وكان الاستاذ فارس الخوري رئيس الوفد السوري في طليعة رجال السياسة الذين فضلوا حلقات مجلسنا الادبي على مجالس السياسة ، وكانت له جولات موفقة في عالم الادب اثبت فيها الاستاذ فارس انه اديب من الطراز الاول وانه يعرف عن حكيم المعرفة ما لا يعرفه كثيرون في شرقنا العربي ..

وذات ليلة جرى حديث الشعر في حلقتنا ، وأتينا على ذكر امير الشعراء المرحوم احمد شوقي ، فقلت آسفاً : لقد دالت دولة الشعر في مصر بل في دنيا العرب بعد شوقي ... ولست أرى بين شعرائنا الناشئين من يبشر بان يكون خليفته .

وأخذ كل منا يروي ما يحفظه من نوادر شوقي وذكرياته معه .. واذا بتوفيق الحكيم يتحرك في مجلسه ويقول :

- لي مع شوقي في باريس ذكريات جميلة ...

وصمت على عادته صمت أهل الكهف فرحت أرجو صاحب « اهل الكهف » ان يقص علينا طرفاً منها ، فتردد لحظة ثم طفق يتحدث فقال :

- كنت في باريس أقضي فصل الصيف حين جاءني نبأ وصول شوقي الى العاصمة الفرنسية فأسرعت للترحيب به والسلام عليه -

ولم تكن بعد اواخر الصداقة قد توطدت فيما بيننا بل كانت معرفتنا سطحية - فبادرني رحمه الله بقوله وهو يعانقني ويداعبني :
- يا توفيق .. ساحني ، لقد تجامرت واشرفت في غيابك ،
وانا في القاهرة على اخراج رواياتك التمثيلية بالنيابة عنك ، فكنت
أحضر التجارب وانقن الممثلين والممثلات ... واتصرف بالادوار
في بعض الاحيان .. وكنت واثقاً انك سوف تغضي عن هذا
التجاوز يبدو مني ، ساحني ... انت تعلم انني في هذه السنوات
مولع بالروايات التمثيلية لا يفوتني حضور واحدة منها ... فانا
مقبل على تأليف مسرحيات كلاسيكية شعرية وقد اخترت موضوع
« كليباطرة » لروايتي الاولى .

فاجاب توفيق الحكيم أمير الشعراء ان اشرافه على اخراج
رواياته شرف عظيم لم يحلم به وشكر له هذا التنازل وهذا
العطف الكريم .

وقابع الاستاذ الحكيم حديثه قائلاً :

- وبعد ان رحبت به وعرضت عليه خدماتي في العاصمة
الفرنسية رغب اليّ أن أشتري له جميع التأليف والروايات الصادرة
باللغة الفرنسية عن كليباطرة ليعتمدها شوقي أساساً في وضع
روايته الجديدة عن ملكة مصر ، وحدد لي - رحمه الله - اسبوعاً
واحداً أطوف فيه بدور الكتب وبيائعي الكتب القديمة على

ضفاف السين فاجمع له ما تيسر من هذه المؤلفات .

وصدعت بالامر وتقبلت المهمة شاكراً وشعرت اني اذ أقوم بهذه الخدمة البسيطة انما أسدي خدمة جليلة للادب العربي حين أضع بين يدي أمير الشعر هذه المجموعة الكاملة من الكتب عن كليوباتره ، فتأتي روايته الجديدة مستوفية الشروط من الناحية التاريخية والتمثيلية فالذين كتبوا عن كليوباترة من ادباء فرنسا كثيرون .

وبعد طواف أسبوع في حوانيت الوراقين جمعت له ما تيسر وشخصت الى الفندق حيث يسكن شاعرنا الكبير أحمل في سيارة « تكسي » رزمة ضخمة من الكتب فوضعتها بين يديه وانصرفت . ومضى حوالي شهر .. انقطعت عني انباء شوقي فخطر لي ان أزوره في فندقه أتسقط انباء كليوباتره ... فقد أصبحت أشعر أنها تخصني كما تخص أمير الشعر .. ولكن دخلت .. عليه غرفته فاذا هو في بعض حاجته في الحمام .. وخلا لي الجو فرحت أتفحص رياسها .. وهو بالنظر من خلال النافذة المفتوحة الى الشارع أدرس المارة - على عادتي - وتحين مني التفاتة صوب المكتب الذي يجلس اليه شوقي .. فيا لهول ما شهدت ..

قد رأيت رزمة الكتب كما أودعتها منذ شهر محزومة بالحيط نفسه فهي لم تفض .. وبما زاد في ألمي اني رأيت على المكتب الى

جانب الرزمة رواية كليوباترة تأليف المرحوم جرجي زيدان
مفتوحة وفوقها مسودة المسرحية الشعرية الجديدة وهي ~~تعداد~~
تكون جاهزة ..

قلت في نفسي يستحيل ان يكون شوقي قد اعتمد رواية زيدان
وحدها ، وخطر لي ان يكون قد فض الرزمة وقرأ بعض كتبها
ثم أعاد رزمها .. ففككت عقدة الحيط وفضت الرزمة فاذا بي
اجد الكتب التي اشتريتها - على حالها - بغلافاتها واوراقها التي لم
تقطع فتأكدت عندئذ ان أمير الشعر لم يقرأ حرفاً واحداً منها ..
ولست ادري .. لماذا خطر لي وانا اقلب هذه الكتب ان اردد
قول شوقي :

أنا من بدل بالكتب الصحابا لم اجد لي صاحباً إلا الكتابا !
ودخل عليّ شوقي في هذه اللحظة فشاهدني اقلب الكتب
وسمعتني أردد بيت الشعر .. فلم يرتبك بل ابتسم وقال :
أجل يا توفيق .. الكتاب هو الصديق الوفي .. وهذه الكتب
- وأشار الى الرزمة - هي أصدقاؤني البهرة ...
فقلت له مداعباً :

- ما أشد اخلاصك لاصدقائك الكتب يا باشا (هكذا كنا
ندعو أمير الشعراء) وما اشد وفاءك لها فانت لا تقطعها ..
ضحك المرحوم شوقي لنكتة القطيعة بين الاصدقاء وقطع

اوراق الكتب وقال معتذراً :

— الحقيقة ان مشاغلي كثيرة ومتع باريس اكثر .. فلم استطع قراءة كتبك او قطعها على الاقل لاتصفحها ... ولا شك في انك وأيت مسودة المسرحية الشعرية الجاهزة ... اسمع يا توفيق ... انا شاعر .. ولست مؤلفاً مسرحياً . واظن ان النقاد سوف يتساهلون في نقد روايتي الجديدة من الناحية المسرحية والحوار والمفاجآت وغير ذلك .. فالشعر هو الاساس .. واما التمثيل فانه عندي يأتي في الدرجة الثانية ..

اتهى الاستاذ الحكيم من حديثه فقال الاستاذ فارس الحوري :
— ان روايات شوقي خالدة في دنيا الادب العربي .. وليس خلودها قائماً على قوتها التمثيلية المسرحية وانما هو مبني على تلك الومضات الشعرية التي تتخلل هذه المسرحيات .. فهي — اي هذه الومضات — بحق خير ما قاله شوقي في ايامه الاخيرة .

ورحت — وانا المعجب بشوقي اعجابي بالمتنبي واحفظ نخبة صالحة من ديوانيهما — انشد الاخوان بعض هذه الومضات التي المع اليها الاستاذ فارس الحوري فرويت لهم مقطوعته التي يصور فيها الموت في حوار بين كليوباترة والكاهن الاكبر انوبليس عندما حاول هذا اغراءها على الموت حفظاً لتاج مصر ان يمس بسوء ..
الكاهن يصور الموت بعضة ناب الافعى فيقول :

اذا جرحت لم تقم عن دم
ومائتها لا يحس المنو
كذلك يجرح سهم القدر
ن كمن مات في النوم لا يحتضر
فتردد كليوباترة :

ومائتها لا يحس المنو
ولكن ابي هل يصان الجمال ؟
كمن مات في النوم لا يحتضر
الكاهن :

نعم لا يحول ولا يندثر !

الملكة :

وهل يطفأ اللون ؟

الكاهن :

لا بل يضيء كما رف بعد القطاف الزهر !

الملكة :

وهل يبطل الموت سحر الجفون
ويبلي الفتور ويفني الحور ؟

الكاهن :

كعهد العيون بطيف الكرى
اذا الجفن ناء به فانكسر !

الملكة :

ابي والشفاه ؟

الكاهن :

لواقي الذبول كما احتضر الاقحوان النضر

وما الموت اقسى عليها فماً ولا قبلة من عوادي الكبر !
وانشدت صورة للمرائي زينون امين مكتبة كليوباترة كما
تخيلها المضحك انشو :

زينون :

سلام السماوات في مجدها على ربة التاج ذات الجلال
تمنيت رأسين لا واحداً اذا مست الارض هام الرجال
اطأطيء رأساً لمجد النبوغ واخفض رأساً لمجد الجمال !
المضحك انشو :

اما يغنيه عن رأسين رأس فيه وجهان ؟
فحينئذ هو مصري وحينئذ هو يوناني
وفي مجلس بوليوس وانطونيوس روماني
وان لاقى آغا القصر فنوبي وسوداني !
وكانت صورة الراعي والراعية في مجنون ليلى ختاماً لتلك
الجلسة اللطيفة في فندق كونتنتال - وهي من متع العمر التي
لا تنسى ..

قال شوقي بلسان المجنون :

تعالني نهش يا ليل في ظل قفرة من البید لم تنقل بها قدمان
تعالني الى وادٍ خلي وجدول ورنه عصفور وابكة بات
تعالني الى ذكرى الصبا وجنونه واحلام عيش من ديد واما

فكم قبلة يا ليل في ميعة الصبا
اخذنا واعطينا اذ البهم ترتعي
ولم نك ندري يوم ذلك ما الهوى
منى النفس ليلي قربي فاك من في
نذق قبلة لا يعرف البؤس بعدها
فكل نعيم في الحياة وغبطة
ويخفق صدرانا خفوقاً كأنما
وقبل الهوى ليست بذات معان
واذ نحن خلف البهم مستتران
ولا ما يعود القلب من خفقان
كما لف منقاريهما غردان
ولا السقم روحانا ولا الجسدان
على شفتينا حين تلتقيان
مع القلب قلب في الجوانح ثان

فهرس

	صورة جلالة الملك فاروق
٣	الاهداء
٤	المقدمة
٥	محطة في السماء الاولى
١١	باقة من زهر الصحراء
١٦	حكاية الطربوش الملكي
٢٠	كتمت سراً خطيراً
٢٥	شهادتنا اولئك الجنود المجهولون
٢٩	لبلة من ليالي العمر
٣٥	على الرصيف
٤٠	لبنان ضحية استعمارين
٤٤	صاحبة الجلالة
٥٠	البذلة الجديدة
٥٤	المقابلة الملكية السعيدة
٦٨	في الاوبرا الملكية مع صاحب اهل الكهف
٧٥	توفيق الحكيم يقص علينا ذكرياته مع شوقي في باريس



This image shows a blank ledger page. The page is divided into three vertical columns by solid black lines. The top portion of the page features a light beige background with faint horizontal lines and some brownish stains. The bottom portion has a white background with solid vertical lines and dashed horizontal lines, creating a grid of 3 columns and 10 rows. The top row of the grid is partially obscured by the beige background.

A.U.B. LIBRARY

962.052:M397aA:c.1

المشنوق، عبد الله

عشرة ايام في القاهرة

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



01050913

American University of Beirut

962.052:M397aA

المشنوق

عشرة ايام في القاهرة.

DATE		Borrower's Number	DATE	Borrower's Number
------	--	----------------------	------	----------------------

962.052

M397aA

